

الرهص والوهص!

قصيدة حماسية في كشف

عبث بعض الناشرين بكتب

التراث الإسلامي

صنعة

أ.د. أحمد بن علي القرني

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١٤٤١هـ

النشرة الثانية

جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

الإبداع العلمي
للنشر والتوزيع

للتواصل مع المؤلِّف
على البريد الشَّبَكي
daL1388@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم



الطَّلِيعَة

الحمدُ لله كما يُحِبُّ أنْ يُحْمَد. والصلاةُ والسلامُ على نبيّه أَحْمَد.

وبعدُ ؛

- ١ -

فقد كتبتُ - ذاتَ يومٍ - مقالاً في إحدى الصُّحُف السيّارة [١]، أنتقدُ فيه إحدى دورِ (النشرِ) التي تنتسبُ للكُتُب والعِلم !! وهي ألدُّ أعدائِه، وأشدُّ أدوائِه[٢].

ففَجَأنا صاحبُ الدار - في الصحيفةِ نفسِها - بكتابةِ ردٍّ لو نقرتَه لطنَّ ! [٣]

---

(١) كان ذلك في صحيفة (المدينة) ملحق (ألوان من التراث) بتاريخ ٩/ ٦/ ١٤١٣ هـ. الذي كان يُشرف عليه اللُّغويُّ الكبيرُ أ.د. محمد يعقوب تركستاني حفظه الله ورعاه.

(٢) كانت تلك الدارُ - ولا زالت - تقومُ بدوْرٍ مشبوهٍ في تدمير المكتبة الإسلامية؛ بإصدارها طبعاتٍ سقيمةً لكتب العلماء الأسلاف، مع عبثٍ مستطيرٍ بمادّة تلك الكتب؛ بالزيادة، والنقص، والسقط، والغلط، والتصحيف، والتحريف، حتىٰ غدتْ إصداراتُها مثلاً يُضربُ؛ في المسخ والتشويه !!

(٣) يُقال في الأمثال: «حَدِيثٌ لَوْ نَقَرْتَهُ لَطَنَّ»! كناية عن رِقَّته وضعف إحكامه! انظر مجمع الأمثال للميداني (١/ ٢٣٠).

لطيفةٌ: حكىٰ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال: «أَنشدتُ أبا شعيب الفَلّال أبياتَ أبي نواس :

ودارُ نَدامى عطّلوها وأدلجوا … بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ

فقال: هذا شعرٌ لو نقرته طَنَّ. فوصفه من طريق صناعته !» سرّ الفصاحة للخفاجي (ص/ ١٦٨).

أي أنه كان حدّاداً فيما يظهر !

فقلتُ: تكبيرةٌ من حارس[١] ! وتذكّرتُ حينَها قولَ أميرِ الشعراء[٢] :

أعلنتْ أمرَها الذئابُ وكانوا في ثيابِ الرُّعاةِ مِنْ قبلُ جاءوا !

وأعجبُ من هذا أنه – وبلا حياءٍ[٣] – يُخطئُ و يُفسِّرْ[٤] ، بل ويقرِّرْ !

(١) قال محمدُ بنُ عبد الله القطان: كنتُ عند محمد بن جرير الطبري، فقال له رجل: إنّ ابنَ أبي داود يقرأ علىٰ الناس فضائلَ عليِّ بنِ أبي طالب، فقال ابنُ جرير: تكبيرةٌ من حارسٍ ! تاريخ بغداد للخطيب (١١/ ١٣٦) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٨٧).

قال العلّامةُ المعلّميُّ : « مقصودُه أنه كما أنّ الحارسَ قد يقول رافعًا صوته: (الله أكبر)، لا ينوي ذكرَ الله عز وجل، وإنما يقصد أن يَسمع السُرّاقُ صوتَه فيعرفوا أنه موجودٌ يقظانُ، فلا يُقدِموا علىٰ السرقة! فكذلك قد يكون ابنُ أبي داود يروي فضائلَ علي؛ ليدفع عن نفسه ما رماه بعضُ الناس من النَّصْب – وهو بُغضُ عليٍّ رضي الله عنه –». التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٢/ ٥١٨).

– ومنه قول يحي بن سعيد القطان: « دعاءُ أصحاب الحديث للمحدّث كتكبيرة الحارس» !! رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٠١) ، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء (ص/ ١١٣) رقم (١١٨) . وانظر التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص/ ٣٢) لبكر أبو زيد.

– وجاء في حديث أبي بكر بن سلم الختّلي (مخطوط) (ق/ ١٥) : حدثنا أحمد، ثنا أبو زيد، قال: كنا عند أبي عاصم النبيل، فذكر أبو حفصٍ الفلّاسُ عثمانَ فأثنىٰ عليه، فقال له أبو عاصم: « يا أبا حفص هذه تكبيرةُ الحارس»!

(٢) الشوقيات (ص/ ١٨) .

(٣) أنشد ابنُ جرير الطبري لنفسه :

حيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي ورِفقي في مطالبتي رَفيقي
ولو أني سمحتُ بماء وجهي لكنتُ إلىٰ العُلا سهلَ الطريقِ !

سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٢٧٦).

(٤) قال أحمد بن خالد القرطبي لما بلغه أن أصبغ بن خليل القرطبي صحّف أُسيدَ ابنَ حُضير إلىٰ أُسيدِ بنِ خُضير! وقال : إنما هو تصغير الخَضِر! قال: مسكينٌ أصبغُ؛ يُخطئ ويُفسِّر!! تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٥٢).

وهذه - عَمْرَكَ اللهُ [(١)] -

بَلْوةٌ فوق بَلْوةٍ، وسَقامٌ فوق سُقْمٍ، تَتْرىٰ بغيرِ حِسابِ!



- ٢ -

والذي أُراهُ قد تقرّرَ عندَ هذا الناشرِ - ومَنْ كان على شاكلتِه - أنّ : **المالَ هو الأصل ! وأن لّا أصلَ عندهم سوى هذا الأصل !!**

ينتظم مسلكَهم قولُ القائل :

مَطالِبُ العالمَينَ أَشتاتُ وكلُّهمْ معناهُمُ: هاتوا!

وإنما العِلمُ وما دونَه من الصناعاتِ حِبالاتُ!![(٢)]

---

(١) معنىٰ عَمْرَكَ اللهُ، أي: أبقاك الله. انظر كتاب الألفاظ لابن السكيت (ص/ ٤٣٤)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص/ ٦٢٩).

فائدةٌ : قال أبو عبيد القاسم بن سلَّام: «أخبرني هشام ابن الكلبي، أن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، تزوج الثريا بنت فلان، من بني أمية، من العبلات، وهي أُميّة الصغرىٰ، فقال عمر بن أبي ربيعة - أنشَدَنِيهِ عنه الأصمعيُّ -:

أيها المُنكحُ الثريّا سُهيلاً عَمرَكَ اللهُ كيف يلتقيان ؟

هي شاميةٌ إذا ما استقلّت وسهيلٌ إذا استقلّ يمان !

قال أبو عبيد: جعل لهما النجوم مثالاً؛ لاتفاق أسمائهما للنجوم. قال: ثم قال: هي شامية، فعنىٰ الثريا التي في السماء، وسهيلٌ يمان، وذلك أن الثريا إذا ارتفعت اعترضت ناحية الشام مع الجوزاء حتىٰ تغيب تلك الناحية. قال: وسهيل إذا استقل يماني؛ لأنه يعلو من ناحية اليمن. فسمَّىٰ تلك شاميةً، وهذا يمانياً، وليس منهما شأم ولا يمان، وإنما هما نجوم السماء، ولكن نسب كلَّ واحدٍ منهما إلىٰ ناحيته». غريب الحديث (٢/ ١٦٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٢/ ٤٢٧).

فقد صار المالُ الهدفَ الرئيسَ لهذا الحَنْدَقُوق[(١)] ومَن لفَّ لفَّه من أصحاب دور (النَّشْل) ![(٢)] وما أكثرَها - لا كثّرها اللهُ - في هذا الزمان ! أما العِلمُ، فلا مكانَ ولا مكانةَ له عندهم البتّةَ !!

لسانُ حال أحدهم يردِّدُ ما قاله ابنُ أبي البَغْل ![(٣)] :

---

(١) قال ابنُ السراج في شرح كتاب سيبويه: الحَنْدَقُوقُ: الرَّجُل الطَّوِيلُ المُضْطَرِبُ شِبْهُ المَجْنُون. وقال غيرُه: شِبْهُ الأَحْمَقِ. وفَسَّرَه السِّيرافيّ أيضاً بمثلِ قولِ ابْنِ السَّرّاج. انظر تاج العروس للزبيدي (٢٥/ ٢٠٧).

(٢) **لطيفةٌ:** أصبح الناسُ يتعارفون في هذا الزمان أنَّ النشْلَ هو السرقةُ علىٰ غِرّةٍ، بخفّةِ يدٍ ! وهي كلمةٌ (مُحْدَثَةٌ) كما في المعجم الوسيط (٢/ ٩٢٣).

قلتُ : لكنّ هذا المعنىٰ الـمُحْدَثَ له أصلٌ في اللغة، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور (١١/ ٦٦١) : «نَشَل الشَّيْءَ يَنْشُلُه نَشْلًا: أَسرع نَزْعَه». وهذه صفةُ النشّال الذي يُسرع بنزع حافظة النقود !!

(٣) هو محمد بن أحمد بن يحيىٰ بن أبي البغل أبو الحسين الكاتب. من كُتّاب الدواوين، ولِيَ الجبل وأصبهان مدة، وله نظم ونثر، توفي مسجوناً في حُدُود سنة (٢٩٩ هـ).

ومن بديع شعره قولُه :

صافحتُ إبريقَهُ فتمْتم لي   حتىٰ توهّمتُهُ كَتَأْتَاءِ
حتىٰ إذا عادَ في فصاحَتِهِ   عادَ لساني لسانَ فَأْفَاءِ!

ومن لطيف ما حُكي عنه أنه قال يوماً : وُلد لي سِبطٌ فما أسمّيه ؟ فقيل له: لا تَخرج من الاصطبل وسمِّه ما شئتَ !!

يعني لأن اسمَه: ابنُ أبي البغل !

انظر الفهرست لابن النديم (ص/ ١٦٩) ، والوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٣٦) ، ومحاضرات الأدباء للراغب (٢/ ٣٦٨) ، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابي (ص/ ٣٨٢) ، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي (٧/ ٢٤٩) ، والمحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرّفّاء (ص/ ٣٥٤) ، وهديّة العارفين للباباني البغدادي (٢/ ٢٣).

لو كنتُ أجهلُ ما علمتُ لسرّني جهلي، كما قد ساءني ما أعلمُ !!
الصَّعْوُ (١) يصفو آمنًا من جهله حُبِسَ الهَزَارُ (٢) لأنّه مترنّمُ (٣)

أو ما قاله صِنْوُهُ المقدِّم للجَهْل ! :

جمعتُ فنونَ العلم أبغي بها الغنىٰ ويمنعُني مما أُحاولُه القُلُّ
تبيّنَ لي أنّ العلومَ بأسْرها فروعٌ وأن المالَ قطعًا هو الأصلُ !! (١)

أما ثالثةُ الأثافي، فهي قولُ مُثيرُ الهِنَافِ (٤) :

المالُ يستر كلَّ عيبٍ في الفتىٰ والمالُ يرفعُ كل نَذْلٍ ساقطِ
فعليك بالأموال ، فاقصِدْ جمعَها واضربْ بكُتْبِ العلم عُرْضَ الحائط !! (٢)

فيا ضَيعةَ العِلم، بين ما لا همَّ له في العِلم إلا المَغْنَم !

ولذا تجد زُمرةَ هؤلاءِ قد نسجت خيوطَها حولَ (البنكنوتْ) (٥)، كفعل

(١) الصَّعْوُ: صِغارُ العصافير، والأنثىٰ: صَعْوة، وهو طائرٌ أحمرُ الرأس . انظر العين للفراهيدي (٢/ ١٩٩) ، وحياة الحيوان الكبرىٰ للدَّميري (٢/ ٨٧).
(٢) الهَزارُ: هو العَنْدَليب. الصحاح للجوهري (١/ ١٨٩).
(٣) انظر اللطائف والظرائف للثعالبي (ص/ ٥٠) ، وديوان المعاني للعسكري (٢/ ٩٢) ، والأمثال المولَّدة للخوارزمي (ص/ ٨٩).
(٤) الهِنَافُ هو: الضَّحِكُ بسُخْرِيَةٍ. تاج العروس للزبيدي (٢٤/ ٥٠١).
(٥) البنكنوت: أوراقٌ مصرفيَّةٌ رسميَّةٌ مطبوعةٌ يتعامل بها النّاسُ بدلًا من المسكوكات النقديَّة، وأوّل من اتّخذها هم الصِّينيّون. معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (١/ ٢٤٩).
وجاء في «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» للكُردي (٥/ ٢٧٦) : « لا يُعلم متىٰ بُدئ باستعمال ورق النقد علىٰ وجه التحقيق، وقد زعم بعضُ المؤرخين أن الصينيين أول من استعمل ورق النقد، ولكن هذا لم يثبت بعد، والأرجحُ أن =

العنكبوتْ، التي تَسكنُ البيوتْ !

ولقـد جـاوز عثـمانُ بـن خُمَارِتـاشِ الهِيْتـي (١) الصـواب، واسـتوجب العتـاب،

=إنجلـترا أول مـن اسـتعمل البنكنـوت بعـد حـرب نابليـون.

ويوجـد الـكلام علـىٰ البنـك والبنكنـوت في مجلـة مصـر الحديثـة المصـورة بتاريـخ ٢٥ أكتوبـر سـنة ١٩٣٠ التعامـل بالفلـوس الـورق.

وقـال ابـن بطوطـة في رحلتـه التـي كانـت سـنة خمـس وعشـرين وسـبعمائة مـن الهجـرة مـا يـأتي : وأهـلُ الصيـن لا يتبايعـون بدينـار ولا درهـم، وجميـع مـا يتحصّـل ببلادهـم مـن ذلـك يسـبكونه قِطَعـاً كمـا ذكرنـاه، وإنمـا بيعهـم وشـراؤهم بِقِطَـع كاغَـد - الكاغَـد هـو الـوَرَق بفتـح الـواو والـراء - كل قطعـة منهـا بقـدر الكـف، مطبوعـة بطبع السـلطان، وتُسـمّي الخمـسَ والعشـرين قطعـة منهـا : بَالِشْـت، ببـاء موحـدة وألـف ولام مكسـورة وشـين معجـم مسـكن وتـاء معلـوّة، وهـي بمعنـىٰ الدينـار عندنـا، وإذا تمزقـت تلـك الكواغـد - أي الأوراق - في يـد إنسـانٍ حملهـا إلـىٰ دارٍ كـدار السّـكّة عندنـا، فأخـذ عوضهـا جُـدُداً، ودفـع تلـك الكواغـد، ولا يُعطِـي علـىٰ ذلـك أجـرةً ولا سـواها؛ لأن الذيـن يتولـون عملهـا لهـم الأرزاقُ الجاريـةُ مـن قبـل السـلطان، وقـد وُكِّل بتلـك الـدار أميـرٌ مـن كبـار الأمـراء، وإذا مضـىٰ الإنسـان إلـىٰ السـوق بدرهـم فضـة أو دينـار ذهـب يريـد شـراء شـيء لـم يُؤخـذ منـه ولا يُلتفـت إليـه حتـىٰ يصرفـه بالبالِشْـت ويشـتري بـه مـا أراد. انتهـىٰ مـن رحلـة ابـن بطوطـة».

قلـتُ : انظـر كلامَ ابـن بطوطـة في رحلتـه المسـمّاة : (تُحفـة النظـار، في غرائـب الأمصـار، وعجائـب الأسـفار) طبع أكاديميـة المملكـة المغربيـة (٤/ ١٢٩).

(١) هو عثمان بن خُمارِتاش بن عبد الله، أبو القاسم، من أهل هِيْت.

قـال الصفـدي : « كان أديبـاً فاضـلاً مليـح الشـعر، لطيـف الطبـع، كيّسـاً طيّـب العشـرة ظريفـاً».

وقـال محـب الديـن ابـن النجـار: « كان متهاونـاً في الأمـور الدينيـة، عفـا الله عنـه» ، صنّـف كتـاب «الخمـر وصفاتهـا» ! وتـوفي سـنة تسـع عشـرة وسـتمائة.

ومن شعره لما تزوّج:

كان رأيـي أن لا يكـون الـذي كـ ـــان فيـا ليتنـي تُركـتُ بِرايِـي
لا يـزال الإنسـانُ يخدمـه السـعـ ـدُ إلـىٰ أن يقـول: بيـتَ حَمَائِـي!

حينما فضّل المالَ على الكتاب! :

المالُ أفضلُ ما ادّخرتَ فلا تكنْ ... في مِرْيةٍ - ما عشتَ - مِن تفضيلِه
ما صنَّف الناسُ العلومَ بأسرِها ... إلا بِحِيلتِهم على تَحصيلِه!![3]

ونحوُه ما كتبه بعضُهم إلى عمرَ بن شبَّة ناصحاً !!:

أجفاءً يا ابن شبّةْ ... بعد نُصحٍ ومحبّةْ ؟
ولزومٍ للدواويـ ... ـن وما يُعطوك حبّةْ !
ليس يُغني عنك عندَ الـ ... ـقوم سفيانُ وشُعبةْ !
فالزمِ الجهلَ؛ فإنّ الـ ... ـجهلَ عند القوم رُتبةْ !
ودعِ العلمَ فإنّ الـ ... ـعلمَ في ذا الدهر سُبّةْ !! [1]

وقال بعضُ الشعراء للقاضي ابن خلَّاد الرَّامَهُرْمزيّ[2]:

قل لابن خلّادَ إذا جئتَه ... مستنداً في المسجدِ الجامعِ:
هذا زمانٌ ليس يَحظَى به ... حدَّثنا الأعمشُ عن نافعِ!![3]

وقوله :

قالوا: هداك الشيبُ، يا ليتني ... دام ضلالي وعدمتُ الهدى !!

انظر ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (١٧/ ٢٠٤)، والوافي بالوفيات للصفدي (١٣/ ٢٦٢)، وفوات الوفيات للكُتبي (٢/ ٤٣٨).

(١) اللطائف والظرائف للثعالبي (ص/ ٥١).

(٢) ربما كان هذا النموذجُ والنماذجُ بعده من باب السخرية من أهل ذلك العصر ليس إلاّ، أقوله من باب الإنصاف.

(٣) المصدر نفسه.

وقريباً منه قولُ أبي موسى بن عمران:

ما للتجـــارب مــن مـــدىً   والمرءُ منهـــا في ازديـادْ
قـــد كنتُ أحسِب ذا العـلا   من حاز علماً واستفادْ
فـــإذا الفقيهُ بغيـــر مـــا   لِ كالخِبـــاء بلا عمادْ!
شـــرفُ الفتىٰ بنُضـــاره   إنّ الفقير أخـو الجمادْ !
ما العلـــمُ إلا جـــوهرٌ   قد بِيعَ في سوق الكسادْ![1]

وقال ابنُ لَنْكَكَ البصريُّ :

يَا طَـــالبًا بِالْعِـلمِ حـظًّا مُسعِداً   فِي ذَا الزَّمَان، رأيتَ رَأْيِ مُخرْنِق
إِنْفَاقُ علـــمٍ فِـــي زمَـــان جَهَالَةٍ   ترجو، ودهرِ عمىً، وسُخْفٍ مُطبِقِ
كُنْ ساعـيًا ومُصافِعًا ومُضارِطًا!   تَنَلِ الرغائبَ في الـــزَّمَان وتَنْفُـــقِ
أَو مَا رَأَيْت مُلُوكَ عصرِكَ أصبحوا   يتجمَّلون بِكُلِّ قـــاصٍ أحـــمقِ
لَا تَلْقَ أشباه الحمير بحكـمةٍ!   مَوِّهْ عليهم ما قَدِرْتَ ومَخْـــرِقِ!

وقال الأديبُ المصريُّ عبدُ الله النديم في رسالةٍ كتبها لأحد أصدقائه:

يـا صاحِبِـيْ دعْ عنـكَ قـولَ الهـازلِ   واسـمعْ نصيحـةَ عـارفٍ بالحاصِـلِ
اِجهلْ تجدْ صفـوَ الـزمـانِ فـإنه   مـــن قِسـمةِ الفَـدْم الغبـيِّ الجاهلِ!
ودعْ التعـــقّلَ بالتغفّـــل يستـــقمْ   أمـــرُ المعـاش، فحظُّه للغـــافلِ!
وارضَ البـــلادةَ تغـــتنمْ مـن بابها   مـــالًا وجـاهًا بعـــدَ ذكـــرٍ خاملِ!

---

(١) نفح الطيب للمقّري (٣/ ٥٩٨).

وإذا أبيتَ سوى العلومِ فلا تضقْ بحــروب دهرٍ لا يميلُ لفاضلِ!

قلِّــبْ تواريخَ الأُلى سبقــوا تجدْ دنياكَ ما قِيدَتْ بغيرِ الباطلِ!![1]

ومن الأمثالِ لدى الجهَلَة الرَّعَاع: «كَفٌّ بَخْتٍ، خيرٌ من كُرِّ عِلْمٍ»!![2].

وقولِهِم: «جَهلٌ يعولُني خيرٌ من علمٍ أعولُه»!! وهو من أمثال أهل بغداد[3].

ونحوُه قولُ بعضِهِم:

وما أصنعُ بالعلمِ إذا أُعطيتُ بالجهل؟!![4].


- ٣ -

لقد أحْفَظَني - إذْ ذاك - ما كان من فِعل هذا الناشرِ الأفِينِ وأضرابِه، فكتبتُ - وقتَها - هذه القصيدةَ: (الرَّهْص والوَهْص)[5]؛ رَدْعاً، ودَفْعاً، وقَمْعَا،

(١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي (١/ ٤٢٠).

(٢) اللطائف والظرائف (ص/ ٥٠)، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبي (ص/ ٤٧).
والكُرّ: اثنا عشر وَسْقًا، والوَسْقُ: ستون صاعًا. فالمجموع سبعمائة وعشرون صاعًا، والصاع يساوي ٢١٧٥ جرامًا تقريبًا، فيكون الكُرّ - بميزان اليوم - ١٥٦٦ كيلو جرام!
انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص/ ٣٠)، ومجمع بحار الأنوار للفتَّني (٤/ ٣٩٠)، والمصباح المنير للفيومي (٢/ ٥٣٠)، وبحث تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلىٰ المقادير المعاصرة للشيخ عبد الله بن منيع (ص/ ٢٣)، منشور في مجلة البحوث الإسلامية عدد (٥٩).

(٣) الأمثال المولَّدة (ص/ ٨٩)، واللطائف والظرائف (ص/ ٥٠).

(٤) اللطائف والظرائف (ص/ ٥٠)، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن (ص/ ٤٨).

(٥) الرَّهْصُ: شِدَّةُ العَصْر. ومنه: «فرمينا الصيد حتىٰ رهصناه» أي أوهنَّاه. انظر تهذيب اللغة للأزهري (٦/ ٦٩)، والمجموع المغيث لأبي موسىٰ المديني (١/ ٨٢٩)، =

ولا أُريد أن أقول: صَفْعاً ! ومَصْعاً ! ورَصْعَا !

بَيْدَ أني لما استأذنتُ شيخيَ العلّامةَ، الدكتورَ/ **عبدَ العزيز بنَ محمد آل عبد اللطيف** (١) - عليه الرحمةُ والرضوانُ - في نشرها وقتَ ذاك، غَصَنَني (٢) عن مُرادي، وقال لي كلمةً بليغةً تُكتَبُ بماء التِّبْرِ المصفَّى: «أرى أن تَحذِفَ اسمَه؛ فمثلُ هذا يَفرحُ بالهجاء كما يَفرحُ غيرُه بالمدْح !!!» (٣).

=ومجمع بحار الأنوار للفتَّني (٢/ ٤٠١) .

والوَهْصُ: الكسْرُ، والرميُ العنيف، يُقال: وهَصَه إلىٰ الأرض، أي رماه رميًا شديدًا، كأنه غمزه في الأرض. انظر العين للفراهيدي (٤/ ٧١) ، والألفاظ لابن السكِّيت (ص/ ٩٣) ، والصحاح للجوهري (٣/ ١٠٦٢) ، ومجمع بحار الأنوار للفتَّني (٥/ ١٤٠).

(١) تتلمذتُ علىٰ يد الدكتور / عبد العزيز آل عبد اللطيف رحمه الله تعالىٰ في الدراسات العليا بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية عام (١٤١٥هـ) - مُستَمِعًا لا مُنتَظِمًا إذْ كنتُ وقتَها قد حصلتُ علىٰ الماجستير - وكان - رحمه الله تعالىٰ - مثالاً يُحتذىٰ للعالم العامل.

ولقد كتبتُ عنه مقالاً إبّانَ وفاته - رحمه الله - في شهر ذي الحجّة من عام (١٤٢١هـ) ونشرتُه في جريدة المدينة (ملحق التراث) بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٤٢١هـ ، بعنوان: (مات الناقدُ ونَفَقَت البهَارجُ !).

(٢) غَصَنَنِي: ثَنَاني . قال ابنُ الأعرابي: غَصَنَنِي فلانٌ عَن حَاجَتي يَغْصُنُني أي ثَنَانِي عَنْهَا وكَفَّنِي . تهذيب اللغة (٨/ ٦١).

(٣) **قلتُ:** بل قد يبحثون عن الهجاء ويتطلّبونه ولو بالمال؛ حُبًّا في الشُّهْرة !!

فمن أولئك:

- بشارُ بنُ بُرْد، فقد هجا جريرًا الشاعرَ المشهورَ بأشعارٍ كثيرةٍ ليُجيبَه فلم يُجبْه! فقال بشارٌ: «لم أهْجُهْ لأغلبَه، ولكن ليُجيبني فأكونَ من طبقته، ولو هجاني لكنتُ أشعرَ الناس !!».

- وهجا الطِّرِمَّاحُ بنُ حكيمٍ الفرزدقَ، فقال الفرزدقُ يتهاون في أمره ويستحقره وقد عرفَ مقصودَه:

إنّ الطِّرِمَّاحَ يَهجوني لِأرفعَه أيهاتَ أيهاتَ عِيلَتْ دونَه القُضُبُ !

– وهجا حمادُ عَجْرَدٍ بشارَ بنَ بُرْدٍ، فلم يُجبْه أنفةً واحتقاراً، ثم أخطأَ بشارٌ فرَدَّ عليه! فقال الجاحظُ : «ما كان ينبغي لبشارٍ أن يُضادَّ حمادَ عَجْرَدٍ من جهة الشعر؛ لأن حماداً في الحضيض، وبشاراً في العَيُّوق (اسم كوكب)، وليس مُولَّدٌ قَرَويٌّ يُعَدُّ شِعرُه في المُحْدَثِ إلّا وبشارٌ أشعرُ منه».

– وهجا ابنُ الرومي البحتريَّ – وابنُ الرومي مَنْ قد عَلِمتَ – فأهدىٰ إليه البحتريُّ تَخْتَ متاعٍ وكِيسَ دراهمٍ، وكتب إليه لِيُريَه أنّ الهديةَ ليست تَقِيَّةً منه، لكنْ رِقّةً عليه، وأنه لم يَحْملْه علىٰ ما فعل إلا الفقرُ والحسدُ المُفْرِطُ:

شاعرٌ لا أهابُهُ نَبَحَتْني كِلابُهُ !
إنّ مَن لا أُعِزُّهُ لعزيزٌ جَوابُهُ !

ومعنىٰ: نَبَحَتْنِي كِلابُه: أي لَحِقَتْنِي شَتائِمُه. كذا في المجموع المغيث: للمديني (٣/ ٢٥٣).

– وكذا فعل المتنبّي حين بُلِيَ بحماقات ابن حَجّاج البغدادي، فقد سكتَ عنه ولم يُجبْه احتقاراً له واطّراحـًا، لأنه ليس من أنداده ولا في طبقته.

– ولما وصل أبو القاسم بنُ هانئ إلىٰ أفريقية هجاه الشعراءُ، فقال: لا أُجيبُ منهم أحداً إلّا أنْ يَهجُوَني عليٌّ التونسيُّ؛ فإني أُجيبُه، فلما بلغ قولُه عليـًا قال: أمَا إني لو كنتُ ألأمَ الناس ما هَجوتُه بعد أنْ شرَّفني علىٰ أصحابي وجعلني من بينهم كُفْئـًا له !

– وهجا مخلدُ بنُ بكار الموصليُّ أبا تمامٍ الطائيَّ بقوله – وقد كانت في أبي تمامٍ حُبْسَةٌ شديدةٌ إذا تكلّم – :

يا نبيَّ اللهِ في الشعرِ ويا عِيسىٰ بنَ مريمْ !
أنتَ مِن أشعرِ خلقِ اللهِ ما لمْ تتكلّمْ !

وهجاه بأشعارٍ أخرىٰ كثيرةٍ، منها قولُه :

انظرْ إليه وإلىٰ خُبْثِهِ كيف تطايا وهو مَنشورُ!
وَيْحكَ مَنْ دلّاكَ في نِسبةٍ قَلبُك منها الدهرَ مَذعورُ؟
إنْ ذُكِرتْ طاءٌ علىٰ فَرْسَخٍ أظلمَ في ناظرِكَ النورُ!

فلم يُجِبْهُ أبو تمام، بل رآه دون المهاجاة والجواب، ولو هجاه لشرُفتْ حالُه ونبُه ذِكْرُه !
=

ونـزولاً عنـد رأيـه؛ فقـد عزفـتُ عـن نشرهـا آنَ ذاك، فظلّـت حبيسـةَ أدراجي

= انظـر مـا تقـدّم في : أخبـار أبـي تمـام: للصولـي (ص/ ٢٣٦)، والحيـوان: للجاحـظ (٤/ ٤٨٤)، والعمـدة في محاسـن الشـعر وآدابـه: لابـن رشـيق (١/ ٢٢٨) فمـا بعـد.

ضميمـة: جـاء في خلاصـة الأثـر في أعيـان القـرن الحـادي عشـر: للمحبّـي (١/ ٢٧٩) أنّ قـولَ ابـن حِكِّينـا البغـدادي في ابـن الشـجري العلـوي :

يـا سـيّدي، والـذي يُعيـذُكَ مِـنْ   نظـمِ قريـضٍ يَصْـدا بـه الفِكْـرُ
مـا فيـكَ مِـنْ جَـدِّكَ النبـيِّ سـوىٰ   أنـكَ لا يَنبغـي لـكَ الشِّـعْرُ !

ألطفُ في التعبير بمراتب من قول مخلدٍ الموصليّ :

يا نبيَّ اللهِ في الشعرِ ..... إلخ

وإن كان أصلُـه مـا قالـه الثعالبـيُّ في كتابـه المسمىٰ بالشـكاية والتعريـف : إذا كان الرجـلُ متشـاعرًا غيـرُ شـاعرٍ قالـوا : فـلانٌ نبـيٌّ في الشـعر ! يعنـي أنـه لا ينبغـي لـه ذلـك. وانظـر وفيـات الأعيـان (٦/ ٤٩).

- وقـال عبـدُ القـادر البغـداديُّ في كتابـه الفَـرق بيـن الفِـرق (ص/ ١٩٧) عـن الزعفـراني صاحـب الفِرْقـة الزعفرانيـة وهـي مِـن فِـرق المرجئـة : « ذَكَـرَ بعـضُ أصحـاب التواريـخ أن هـذا الزعفـرانيَّ أراد أن يُشْـهِرَ نفسَـه في الآفـاق؛ فاكْـترىٰ رجـلاً علـىٰ أن يخـرجَ إلـىٰ مكـة ويسـبَّه ويلعنَـه في مواسـم مكـة؛ ليشـتهر ذِكـرُه عنـد حجيـج الآفـاق»!!!

- ومِـن المعاصريـن: الكاتـبُ المصريُّ/ خالـد محمـد خالـد - رحمـه الله تعالـىٰ - فقـد فعـل في أول أمـره الشـيءَ نفسَـه!

فقـد قـرأتُ قديمـًا مقـالاً (أُوردُه هنـا مـن الذاكـرة) نُشـر في صحيفـةِ المدينـة علـىٰ مـا أذكـر - للدكتـور مصطفـىٰ عبـد الواحـد - رحمـه الله تعالـىٰ - ذكـر فيـه كاتبُـه أنّ الأسـتاذَ خالـد محمـد خالـد ألّـف كتابـًا - لعلّـه «مِـن هنـا نبـدأ» الـذي دعـا فيـه إلـىٰ فصـل الديـن عـن الدولـة!! - فلـم يَـذِعْ ولـم ينتشـرْ، وظـلّ راكـداً مـدّةً مـن الزمـن، فأَوعـزَ إلـىٰ أحـد أصدقائـه أنْ يكتـبَ في نقـده مقـالاً لاذعـًا، ويَكيـلَ لـه فيـه السِّـبابَ والشـتائمَ !! ففعـل صاحبُـه مـا أراد، وجعـل عنـوانَ مقالِـه: كتـابٌ زائـغٌ لكاتـبٍ ضـالٍّ!! - أو عبـارةً نحوَهـا - ثـم سـلّم المقـالَ للشـيخ الأزهـري علـي الغايـاتي، لينشـره في صحيفتـه. ومـا إنْ نشـره؛ حتـىٰ تهافـتَ النـاسُ علـىٰ شـراء الكتـابِ، ونَفِـدَت نُسـخُه خـلالَ فـترةٍ وجيـزةٍ ! وطُبـع سِـتَّ طبعـاتٍ في سـنتين ! وتُرجِـم في نفـس السـنة التـي صـدر فيهـا إلـىٰ الإنجليزيـة! وكُتبـتْ عنـه مقـالاتٌ عـدّةٌ في أنحـاءَ متفرقـةٍ مـن أوروبـا وأمريـكا !!=

أكثـرَ مـن عشريـن سـنةً ! [١].



- ٤ -

ثـمّ إني رأيـتُ اليـومَ - وقـد اسـتفْحَلَ الخطْـبُ، واتَّسـع الخَـرْقُ - أن أفـكَّ أسرَهـا، وأَكشِـفَ سِـترَهـا، وأُمـضيَ نشرَهـا، ولله الأمـرُ مـن قبـلُ ومـن بعـدُ !

وأُحِبُّ أن أُشيرَ هنا إلى أنني قد صَرَّفتُ **قصيدتي هذه** على القوافي العَويصَة: (الضَّاد)، و (الذَّال)، و (الشِّين)، و (الطَّاء)، و (الثَّاء)! لا حُبّاً في هذه القوافي! ولا إبرازاً للمَلَكَة! [٢]، لكنْ خشيتُ أن تروقَ لأحدِ هؤلاء الناشرين فيسرقَها ويطبعَها !!!

= ثـم إن الأسـتاذَ خالـداً تـاب منـه بعـدَ ذلـك لمـا رأىٰ مـن حفـاوةَ أعـداء الإسـلام بالكتـاب! وأدرك أنـه أخطـأ فيـه، وأعلـن علـىٰ المـلأ رجوعَـه عنـه، وصـار فيمـا بعـدُ كاتبـًا إسـلاميًا.

(١) نمـا إلـىٰ عِلْمـي أنّ الشـيخَ العلاّمـةَ الثبْـتَ / بكـر بـن عبـد الله أبـو زيـد - رحمـه الله تعالـىٰ - لمـا بلغـه خـبرُ قصيـدتي هـذه تمنّـىٰ أن لَّـو أدرجَهـا في كتابـه (الرقابـة علـىٰ الـتراث)، وكان قـد صـدَرَ حينَهـا.

ولـذا رأىٰ الدكتـورُ / صالـحُ اليافعـيُّ مشـكوراً تحقيـقَ هـذه الأمنيّـة لـدىٰ الشـيخ بكـر؛ فذيّـل بهـا كتابَـه الـذي ألّفـه عـن سيرة الشـيخ بكـر أبـو زيـد وأخبـاره، وهـو مـن مطبوعـاتِ دارِ التوحيـدِ بالريـاض.

(٢) **إضاءةٌ:** كان بعضُ الشعراء يتطلّب القوافيَ الصعبةَ؛ وَلَعًا بالإغراب، وإبرازاً للمَلَكَة!

ومـن العجـبِ العاجـبِ أنـه علـىٰ الرُّغـم مـن وُعُـورةِ هـذه القـوافي، وصعوبـةِ تطلُّبهـا، إلا أنهـم كانـوا ينظمـون عليهـا القصائـدَ الطِّـوالَ!!

وقـد بسـطتُ لـك هنـا بعـضَ الموائـد مـن تلـك القصائـد! فـلا تضجـرنَّ مـن طُولهـا، واشْـدُدْ حَيازِيمَـكَ لهـا، فكـم في الموائـد مـن فوائـد!

فمِن أولئك الشعراء:

- أبو القاسم عبد الرزاق بن علي القيرواني:

قـال عنـه ابـنُ رشـيق في كتابـه «الأنمـوذج»: « قـادرٌ، يطلـب الطبـاق والتجنيـس طلبـًا شـديداً، بالتصريـف، وتبديـل الحـروف، ويسـتعمل القـوافيَ العويصـةَ، ويبعـد المرامـي=

= تحلّقـاً علىٰ المعـاني، ولا يـكاد يهمـل مـن التصنيع إلا مـا أفلتـه ... كتـب إلـيّ - لمـا صنعتُ هـذا الكتـاب - صُحبةَ نُبَذٍ أنفذَهـا إلـيّ لأثبتهـا:

يـا مبـرزاً إبريـز خيـر سـبيكةٍ ... ومكلّـلاً إكليـلَ خيـر متـوّجِ
ومطـرزاً حُلَـل البلاغـة مُعجـزاً ... كل الـورىٰ ببراعـة «الأنمـوذجِ»
فكأنـه للسـمع لفـظُ أحبـةٍ ... وكأنـه للعيـن روض بنفسـجِ
وكأنـه للقلـب سـحرُ علاقـةٍ ... في مهجـة تخشـىٰ الصـدود وترتجي
خصّصْـت أهـلَ الغـرب منه بمُشـرقٍ ... بأقـرّ مـن شـمس النهـار وأبهـجِ
رجّحـتَ بيـن ذوي الفصاحـة منهـم ... وفضلـتَ بيـن مرتّـبٍ ومسـبَّجِ
وكشـفتُ عـن شـعري لتُلحقـه بـه ... فاسـتر علـىٰ خـلٍّ لسـترك مُحـوَجِ

ينظر الـوافي بالوفيـات للصفـدي (١٨/ ٢٢٩) ، إنبـاه الـرواة علىٰ أنبـاه النحـاة للقِفطـي (٢/ ١٧٤).

- ومنهم : علي بن عبد الكريم المعروف بابن غالب من أبناء المهدية :
قـال ابـن رشـيق : « شـاعرٌ مذكـورٌ، كثيـرُ الافتنـان، واسـعُ العَطَـن في أنـواع علـوم الديـن والدنيـا، قديـرٌ في التطويـل وركـوب القـوافي الصعبـة العويصـة، سـريعُ الصنعـة، يذهـب في الشـعر كلَّ مذهـبٍ، وينحـو في الرجـز نحـواً عجيبـاً، ويتعـرّب كثيـراً» ومـن شـعره قولُـه :

سـأصنع في ذمّ العَـذار بدائعـاً ... فمن شاء يقضي بالدليل كما أقضي
ألا إنـه كالـلّام، والـلّام شـأنُها ... إذا أُلصقت بالاسم صار إلىٰ نقض !

ينظر الوافي بالوفيات (٢١/ ١٧٥).
ومنهـم : أبـو بكـر محمـد بن يحيـىٰ بـن عبـد الله الصولـي (ت ٣٣٥هــ) : وكان ممّـن أُولع بهـذه الصنعـة حتـىٰ صـار أسـتاذاً فيهـا، ولـه عـدّةُ قصائـد تجـري علـىٰ هـذا الحَذْو.
- فمـن ذلـك مـا ذكـره عـن الخليفـة الراضـي أنـه أمـره أن يعمـل قصيـدةً علـىٰ قافيـة الضـاد، قـال : «فعملتُهـا، فلمـا وصلنـا إليـه في ذلـك اليـوم، أنشـده أحمـد بـن يحيـىٰ، وعلـي بـن هـارون، قصيدتيـن يهنّيانـه فيهـا بالخلافـة، ويصفـان سـرورهما =

=لاغتباطهمـا، فاسـتمعهما وأظهـر استحسـانهما، ثـم أمـر بإنشـاد الضاديـة فأنشـدتُه أياهـا، وأنـا أذكرهـا هاهنـا؛ لأنهـا ليسـت مـن الشـعر الـذي يأبـاه القلـب ويمجّه السـمع! وفيهـا مـدحٌ لابـن ياقـوت وللوزيـر وهـي:

أَصْبَـحَ الْمُلْـكُ عاليـًا بِأَبـي الْعَـ ــبَّاسِ أَعْلَىٰ الْمُلُـوك بَعْدَ انْخِفَـاضِ
واسْـتَفَاضَ السُّـرُورُ فِي سَـائِرِ الـنَّـ ـنَـاسِ بِمُلْـكِ الْمُهَـذَّبِ الْفَيَّـاضِ
رَضِـيَ اللهُ هَدْيَـهُ فَاصْطَفَـاهُ فَهُـوَ بِـاللهِ وَالْمَقَادِيـرِ رَاضِـي
مَـنْ غَذَتْـهُ الْعُلُـومُ يَرْفَـعُ مِنْهَـا فِـي جِنَـانٍ أَنِيقَـةٍ ورِيَـاضِ
كَمُـلَ الْفَضْـلُ والْفَضَائِـلُ فِيـهِ قَبْـلَ عِشْـرِينَ مِـنْ سِـنِيهِ مَوَاضِـي
فَهُـوَ بِالْعِلْـمِ والتَّفَـرُّغِ فِيـهِ خَيْـرُ آتٍ مِـنَ الْمُلُـوكِ وَمَاضِـي
خَطَـرَتْ نَحْـوَهُ الْخِلافَـةُ طَوْعـًا بِاتِّفَـاقٍ مِـنَ الْـوَرَىٰ وَتَـرَاضِ
واصْطِفَـاقٍ مِـنَ الأَكُـفِّ دِرَاكـًا واجْتِمَـاعٍ مَـوفٍ وَعَـزْمٍ مُفَـاضِ
مَـرِضَ الدِّيـنُ قَبْلَـهُ وَأَتَـاهُ بَارِئـًا عِنْـدَهُ مِـنَ الأَمْـرَاضِ
واسْـتَلَذَّ الزَّمَـانُ إِذْ أَسْـفَرَ الْمُلْـ ـكُ وَجَلَّـىٰ سَـوَادَهُ بِبَيَـاضِ
وَاجِـدٌ بِالْعُلُـومِ وجْـدَ مُحِـبٍّ رَاعَـهُ مَـنْ يُحِـبُّ بِالإِعْـرَاضِ
يَـرِدُ النَّـاسُ مِنْـهُ أَغْـدَارَ جُـودٍ طَيِّـبُ الْـوِرْدِ مُتْـرَعُ الأَحْـوَاضِ
حَمِـدوا مِـنْ مُحَمَّـدٍ حُسْـنَ مُلْـكٍ بِتَقَضِّـي حَـقِّ الْـوَرَىٰ وَتَقَاضِـي
نِعَـمٌ لِلْوَلِّـي مِنْـهُ حَبَـاهُ وَمَنَايَـا عَلَـىٰ الْعَـدُوِّ مَوَاضِـي
تَمْلِـكُ الْخَطْـبَ مِنْـهُ عَزْمَـةُ رَأْيٍ يُذْعِـنُ الصَّعْـبُ عِنْدَهَـا لارْتِيَـاضِ

ومضىٰ فيها، إلىٰ أنْ قال:

يَـا إِمَـامَ الْهُـدَىٰ اسْـتَمِعْ لِوَلِـيٍّ سَـائِرٍ فِـي مَدِيحِكُـمْ رَكَّـاضِ
بَـذِلُ النفسِ، واجِـبٌ لك مَحْضُ الـ ـنُّصْحِ، مِنْ أُسْـرَةٍ لَكُـمْ أَمْحَاضِ
كُلُّ عَـاصٍ بِجِلْدَتِـهِ العُـ ـرُّ، فَهـم هَانِئُـوهُ بِالخَضْخَـاضِ
يَفْضُـلُ النَّـاسَ فِي الشَّـجَاعَةِ وَالْبَـأْ سِ كَفَضْـلِ الدَّيْـسِ لابْـنِ مَخَـاضِ
قِبْلَـةُ الْحَـرْبِ حِيـنَ تُجْتَنَـبُ الْحَـرْ بُ وَتُـرْدَىٰ خُيولُهَـا فِي الْعِـرَاضِ
عَضَّـدَ الْمُلْـكَ فِيـهِ بِالأَيِّـدِ الْـ ـعَالِمِ شَـافِي الْمَحلّ بالإِحْمَاضِ

بَـاذِلِ الـرَّأْيِ سَـالِكٍ شِـعْبَ عَـزْمٍ ... مَـا الْمَصَاعِيـبُ فِيـهِ كالأَحْفَـاضِ
أَخْصَبَـتْ أَرْبُـعُ الْـوَرَىٰ بِإِمَـامٍ ... قَاتِـلِ الْمَحْـلِ جَابِـرِ الْمُنْهَـاضِ
عَـرَفَ النَّـاسُ فَضْلَـهُ مِثْلَ مَـا يُعْـ ... ـرَفُ قَصْـدُ السِّـهَامِ بالأَنْبَـاضِ
مَـنْ رأَىٰ حُبَّـهُ كَنَافِلَـةِ الْـ ... ـفَرْضِ فَإِنِّـي أَرَاهُ كالإِفْتِـرَاضِ
أَيَّـدَ اللهُ مُلْكَـهُ بِوَزِيـ ... ـرٍ مُسْـتَقِلٍّ بِـ ... ـرَأْيِهِ نَهَّـاضِ
عَالِـمٍ بِالزَّمَـانِ قَـدْ رَاضَ مِنْـهُ ... جَامِحـاً آبِيـاً عَلَـىٰ الـرُّوَّاضِ
لَـمْ يَطُـفْ بِالْيَقِينِ مِنْ ظَنِّـهِ الـشَّـ ... ـشَكُّ وَلاَ حَـالَ دُونَـهُ بِاعْتِـرَاضِ
ضَـرَبٌ فِي لُهَـىٰ وَلِيِّـكَ مَـاضٍ ... وَسُـهَادٌ عَلَـىٰ عَـدُوِّكَ قَاضِـي
نَاصِـحٌ لَـمْ يَخُـضْ ضَحَاضِـحَ غِشٍّ ... فِـي الزَّمَـانِ الْمَاضِـي مَـعَ الْخُـوَّاضِ
مَـوَّلَ اللهُ بَيْـتَ مَالِـكَ مِنْـهُ ... بِاجْتِمَـاعٍ مِنْـهُ لاَ بِارْفِضَـاضِ
غَيْـرَ مَـا حَافِـلٍ إِذَا انْتَحَـلَ النُّصْـ ... ـحَ بِشَكْوَىٰ مُغَاضِبٍ أَوْ مُرَاضِي
مِنْ أُنَـاسٍ أَقَلاَمُهُمْ أَسْـهُمُ الْمُلْـ ... ـكِ وَلَكِنَّهَـا بِغَيْـرِ وِفَـاضِ
جَامِعَـاتٍ لِلأَمْـرِ بَعْـدَ افْتِـرَاقٍ ... جَابِـرَاتٍ لِلْعَظْـمِ بَعْـدَ انْهِيَـاضِ
مَـا رَأَتْ سَـاعِياً علـىٰ الْبَيْـنِ إِلاَّ ... قَيَّـدَتْ سَـعْيَهُ بِغَيْـرِ الإِيَـاضِ
نَفَثَـتْ بِالْمِـدَادِ سُـمّاً عَلَيْـهِ ... نَفْـثَ أَنْيَـابِ حَيَّـةٍ نَضْنَـاضِ
فَابْـقَ يَـا سَـيِّدَ الْمُلُـوكِ لَـهُ تُبْـ ... ـرِمُ بِالـرَّأْيِ مِنْـهُ كُلَّ انْتِقَاضِ
وَتَمَـلَّ النَّيْـرُوزَ تِسْـعِينَ عَامـاً ... سَـامِياً وَالْعَـدُوُّ ذُو إِعْضَـاضِ

فقـال – وكان عالمـاً بالشـعر ناقـداً –: مـا أعـرف مثـل هـذه الضاديّـة لقديـم ولا محـدَثٍ، وإنها لحُمَتُـكَ رميـتَ بهـا كمـا كانـت (قَـدْ جَبَـرَ الدِّيـنَ الإِلَـهُ فَجَبَـرْ) حُمَـةُ العجّـاج رمـىٰ بهـا، فقلـت لـه: يُبقـي اللهُ سيدَنا، وهـا هنـا حُمَّـاتٌ مثلُهـا كثيـرةٌ!». كتـاب الأوراق للصولـي (٢/ ١٠ – ١٦).

قلتُ : قولـه: (وإنها لحُمَتُـكَ رميـتَ بهـا) ، الحُمَـةُ : الإبـرة التـي تَضـرِبُ بهـا العقـربُ والزنبـورُ ونحـوُ ذلـك. انظـر جمهـرة اللغـة لابـن دُريـد (١/ ١٠٢) ، والمعجـم الوسـيط (١/ ٢٠١).

والمعنىٰ أنـه قـد بـذل أقصـىٰ مـا يملـك، وأهـمّ مـا عنـده، وليـس بقـادرٍ علـىٰ أن يـأتيَ بمثلهـا !

وقولـه : (قَـدْ جَبَـرَ الدِّيـنَ الإِلَـهُ فَجَبرْ) ، هـذا مـن الرجـز الفائـق الـذي قالـه العجّـاج!=

=قال أبو عبيدة : « ما زالت الشعراء تقصِّر بالرُّجَّاز حتىٰ قال أبو النجم:

الحمد لله الوهوبِ المُجزلِ

وقال العجّاج:

قد جبرَ الدينَ الإلهُ فجبَرْ

وقال رُؤبة:

وقاتمِ الأعماقِ خَاوي المُخترقْ

فانتصفوا منهم». انظر الأغاني للأصبهاني (١٠/ ١٨٣- ١٨٤) ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٧/ ١٦٢).

- وقال أيضًا : « وافَىٰ راغبٌ خادمُ الراضي بالله من الثغر، وكان قد شهد الفداء إلىٰ الموصل، فوجّه به الراضي، فَلقيَنا بين الحديثة والسن، فسلمنا عليه، وكانت معه دواب، فحمل القاضي عليها؛ لأن الراضي أمره بذلك، وأراد أن يتقدم وصولُه، وتبعه من كان له مركوبٌ، وبقينا نحن أيامًا كثيرةً إلىٰ أن وصلْنا إلىٰ الموصل، ودخلنا إلىٰ الراضي بعد عشرين يومًا من مفارقتنا إياه، وكان في نفسي ما قاله الراضي حين أنشدتُه قصيدتي الضاديّة وقتَ جلوسه: «هذه حُمَتُك رميتَ بها». وأردتُ أن أعمل قصيدةً أشكو فيها غرقنا وما نالنا فقلت: والله لأجعلنّها ضاديةً؛ ليَعلم أن تلك لم تكن حُمَتي ! وأنه قد بقيت لي قصيدةٌ - وأنا في الزورق مع ابن حمدون - نحو تلك القصيدة في الطول وهي:

أَبَغِضتَهُ مِنْ بَعْدِمَا بُذِلَ الرِّضَا؟ هذَا تَجَنٍّ مِنْ حَبِيبٍ يُرتضَىٰ!
لاَ تجزَعَنْ للْبُعْدِ تُوعَدُهُ غداً فاللهُ يَصْرِفُهُ بما فيهِ قضَا
ظُلِمَ الحَبِيبُ فَأَظْلَمَ الْبَيْتُ الَّذِي أَمَّتْ مَطاياهُ بهِ ذات الأَضَا
قَدْ قالَ بَشَّارٌ وكانَ مُسَدَّداً يَحْوِي المعَانِي إنْ رَمَىٰ أَوْ أَنْبَضَا
قَدْ ذُقْتُ أُلْفَتَهُ وذُقْتُ فِراقَهُ فَوَجَدْتُ ذَا عَسَلاً وذَا جَمْرَ الغَضا
خُذْ مِنْ زَمانِكَ ما صَفَا لَكَ قَلَّما يُغْنِيكَ غَمُّكَ بِالتَّكَدُّرِ إِذْ مَضَىٰ
واصْبِرْ عَلَىٰ غَرَقٍ بِنُعْمىٰ نلْتَهَا إنَّ الزمانَ لَمُقْتَضٍ مَا أَقْرَضا
فَهَوَيْتَ فِي لُجٍّ عَلاكَ عُبابُهُ لا بُدَّ أَنْ تَلْقَىٰ الَّذِي لَكَ قُيِّضَا
إِنْ قُمْتَ فِيهِ لَمْ تَطُلْهُ لِغُزْرِهِ ورَأَيْتَ تَحْتَ الرِّجْلِ مِنْهُ مَدْحضا

وَتَسَرَّعَتْ مِنْهُ إِلَيْكَ حِجَارَةٌ تَذَرُ الصَّحِيحَ مِنَ الْعِظَامِ مُرَضَّضَا
وَكساكَ مِن يَدِهِ وَلَمْ تَسْتَكْسِهِ عُشُراً يُؤلِّفُهُ المُدُودُ وَعِرْمضا
نَجَّاكَ مَنْ نَجَّا بِلُطْفٍ يُونُسًا مِنْهُ، وكَانَ لِقَبْضِ رُوحِكَ معْرِضا

ومضىٰ فيها، إلىٰ أن قال:

يا واحِدَ الْكَرَمِ الَّذِي نَلْقَىٰ بِهِ وَجْهَ الزَّمانِ إذا تَسَوَّدَ أَبْيَضَا
خُذْها إِلَيْكَ قوافِيًا قَدْ لُبِّسَتْ رَقْمًا أَبىٰ تَحْسِينُهُ أَنْ يُرْفَضَا
كانَتْ مُجَمَّجَةَ الظُّهُور نَوافِراً فَأَتَتْكَ لَيِّنَةَ المَقادَةِ رُيَّضَا
لَفْظًا أَلِيفًا لِلْقُلُوب مُحَبَّبًا لَمْ يُلْفِ وَقْراً فِي المَسامِعِ مُبْغَضا
مِنْ شِعْرِ مَقْصُورِ الْمَدَىٰ مُتَكَلِّفٍ إنْ رَامَ نَهْجًا فِي طَرِيقٍ أَدْحِضَا
وكَأَنَّهُ ثِقْلاً فِرَاقُ أَحِبَّةٍ نَادىٰ بِه داعِي الشَّتاتِ وحَضَّضَا
بَلْ مُرْسَلاً طَبْعًا فَسِيحًا ذَرْعُهُ قَدْ شَفَّ ذَا الباعِ القَصِيرِ وَأَرْمَضَا
وإِذَا أَمالَ إِليْهِ سَمْعًا صاعَدَتْ أَنْفَاسُهُ؛ أَسَفًا عَلَيْهِ وابْغضَا
أَحْذاكَهُ مَنْ لاَ يَزالُ ضَمِيرُهُ عَمَّا كَرِهْتَ مِنَ الْمَذَاهِبِ مُعْرِضا
أَفْنَىٰ الزَّمانَ بِخِدْمَةٍ لَكَ آمِلاً ما نلْتَهُ، فَأَنْلْه غاياتِ الرِّضَا
وَمَدائِح سَبَقَتْ إِلَيْكَ بِأَسْرِهَا يَأْتِيكَ قَائِلُهَا بِهَا مُتَعَرِّضَا
مَا شَرَّفَتْهُ خِدْمَةٌ لَكَ قَبْلَهَا حَتَّىٰ مَلَكْتَ فَدَسَّهُنَّ مُعَرِّضَا
وَأَصَابَ مَرْعىً فِي فِنَائِكَ مُمْرِعًا فَأَخَلَّ فِيهِ بالْحُظُوظِ وَأحْمَضَا
إذْ سَيْفُ عَزْمِكَ كَامِنٌ فِي جَفْنِهِ أَرْجُو انْتِضاكَ لَهُ وَلَمَّا يُنْتَضىٰ
هَذي سَوَابِقُ لا يمُتُّ بِمِثْلِهَا مَنْ قَدْ أَتَىٰ خَلْفَ السُّكَيْت مُرْكّضا
فَأَفِدْ وَعَوِّضْ مَادِحًا لَكَ رَاجِيًا فَلأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَقَالَ وَعَوَّضَا

فلما أنشدتُه إياها قال: صدقتَ يا صوليّ، قد بقيتْ لك حُمّاتٌ! وهذه الضاديةُ أفحلُ كلامًا من تلك، وتلك أنْعَمُ لفظًا، وكلتاهما في نهاية الجودة. فقلت: أنا واللهِ – يعلمُ سيّدُنا – بالشعر أحترسُ إذا مدحتُه، فضحكَ». كتاب الأوراق للصولي (٢/ ١٢٣ – ١٢٨).

ـ وقال أيضًا: «كان الراضي وعدني بفَصٍّ كنتُ استحسنتُه، فكتبتُ إليه بقصيدةٍ أسأله فيها التوجيه إليّ بالفَصّ، فكتب إليَّ إنما أتفرّج بما يرِد عليّ من جهتك،=

=فاكتبْ إليّ بشعرٍ صَادِيٍّ، قافيتُه الفَصّ، فعملتُ القصيدةَ، وكتبتُ بها إليه، وهي:

أَلا قُلْ لَخِيْرِ النَّاسِ نَفْساً وَوَالِداً ... وَرَهْطاً وَأَجْدَاداً مَقَالَةَ مُخْتَصِّ
مَحمَّدِ الْمَأْمُولِ وَالْمُقْتَدَىٰ بِهِ الْـ ... أَمِيرِ أَبي الْعَبَّاسِ ذِي الْفَضْلِ لا النَّقْصِ
وَمَنْ جَمَعَ الآدَابَ بَعْدَ افْتِراقِها ... وَثَقَّفَهَا بِالْبَحْثِ مِنْهُ وبِالْفَحْصِ
دقِيقِ حَوَاشِي الذِّهْنِ هُذِّبَ طَبْعُهُ ... وَمُحِّصَ فِي قُرْبِ الْمَدَىٰ أَيَّمَا مَحْصِ
بَعِيدِ الْقَبُولِ مِنْ حَسُودٍ مُكَاشِرٍ ... تَخَلَّفَ عَنْ أولاهُ بِالنَّزْغِ والْفَرْصِ
لِئَنْ سَاغَ لِي أَكْلِي وَشُرْبِي فَإِنَّنِي ... كَذِي شَرَقٍ مِنْ غَيْبَتِي عَنْهُ مُغْتَصِّ
وَقَدْ كُنْتُ ذَا حَظٍّ لَدَيْهِ وَزُلْفَةٍ ... فَجَاءَ الَّذِي حَاذَرْتُ فِيهِ عَلَىٰ غَفْصِ
بِفَسْخِ الَّذِي سَدَّىٰ وأَلْحَمَ بَاطِلاً ... وَقَدْ وَقَصَاهُ عَاجِلاً أَيَّمَا وَقْصِ
مِنَ اكْلُبِ خُوزَسْتانَ نَغْلٍ مُحَقَّرٍ ... ضَئِيلٍ خَفِيِّ الشَّخْصِ فِي صُورَةِ الدَّرْصِ
وَأَلْهَبَ مِنْهُ الْجَمْرَ بِالنَّفْخِ حَابِلٌ ... عَلُوقٌ بِأَذْنَابِ الأَكَاذِيبِ كَالشَّصِّ
بَنُو مُعْوَرَاتِ الطُّرْقِ جَاءُوا بِعَوْرَةٍ ... ذَوُو الآنُفِ الذُّكَّاءِ والأَعْيُنِ الرُّمْصِ
أَولُوا بِطْنَةٍ فِي بَاطِلٍ وتَكَذُّبٍ ... وَصِدْقُهُمُ يَأْوِي إِلَىٰ أَبْطُنٍ خُمْصِ
فَمَا أَسْنَدُوا قَوْلاً إِلَي ذِي تَمَاسُكٍ ... ولاَ شَيَّدُوا زُورَ الْمَقَالِ عَلَىٰ إِصِّ

ومضىٰ فيها، إلىٰ أن قال:

فَقُولُوا لِمَنْ قَاسَ الأَمِيرَ بِغَيْرِهِ: ... تَأَيَّدْ، فَمَا الْكَيْلُ الْمُحَصَّلَ كَالخَرْصِ
تَيَمَّمْتَ زَوراً فِي الْمَقَالِ وَبَاطِلاً ... لَدَىٰ خُرُقٍ سَادَ الصُّخُورَ عَلَىٰ رَهْصِ
مَحَاسِنُ هَذَا الْخَلْقِ مِنْكَ ابْتَداؤُها ... وَيَجْذُبُها ذُو كُلْفَةٍ مِنْكَ كَاللِّصِّ
كَذَا الْمَجْدُ لاَ بِالْمَالِ يُجْمَعُ شَمْلُهُ ... وبِالدُّورِ شِيدَتْ بِالقَرَامِيدِ وَالْجِصِّ
فَلاَ زِلْتَ لِلدَّهْرِ الْمُمَلَّكِ مَالِكًا ... يُطِيعُكَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ وَلاَ يَعْصِي
وَحُزْتَ مِنَ الأَعْمَارِ أَقْصَىٰ نِهَايَةٍ ... تَفُوتُ مَدَىٰ الإِحْصَاءِ فِيهَا يَدُ الْمُحْصِي

فوجّه بخاتمٍ فصّه ياقوتٌ سمانجوني، ووجّه معه بِصِلَةٍ، وكتب إليّ: ما أعرفُ والله مثل هذه الصاديّة لأحدٍ، وقد بخستُك في القيمة اضطراراً لا اختياراً، إلىٰ أن =

=يستقيم الزمانُ إن شاء الله.

وإنما آتي من الأشعار التي قلتُها في الراضي بطرفٍ؛ للحاجة إلىٰ المعنىٰ الذي قيلت فيه، وإلا فالشعر كثيرٌ فيه، وقد أتيتُ في عملي (أخبارَ المقتدر) بشيءٍ يسيرٍ منه، إلا أنني آمل أن لا يَستهجن الأدباءُ ما أُورد منه؛ لصلاحه وصفوته، وصعوبة قوافيه، وسلامته مع ذلك من تكلّفٍ يهجّنه، وسخافةِ لفظٍ ترذّله إن شاء الله».

كتاب الأوراق للصولي (٢/ ٢٧ – ٣١).

ـ **وقال أيضًا:** « كنّا ليلةً نشرب مع الراضي، فوَصَلَنا، وجِيءَ برغيفٍ كبيرٍ بحرفٍ وافرٍ قد عُمل مِن نَدٍّ، فرمىٰ به إلينا. وقال: انتهبوه، فبدروني، فاستلبوه دوني، وسَخُفُوا وتَبَذّلوا، حتىٰ تكشَّف واحدٌ منهم! وكلُّ ذلك بعينه، فسألتُه العِوَض، فقال: صِفْ أمرَك معهم، وصِف الزبيدية؛ فإنك مشغوفٌ بها، وأنا علىٰ العبور عليها حتىٰ أُعوِّضَك. وانصرفتُ فعلمتُ في ذلك قصيدةً زائيةً هي مِن خير زائيةٍ قيلتْ قطُّ! فلذلك أذكرُها، وكان ذلك في أيام النيروز، وهي:

بَارَكَ اللهُ لِلأَمِيرِ أَبِي الْـ … ـعَبَّاسِ خَيْرِ الْمُلُوكِ فِي النَّيْرُوزِ
وَأَرَاهُ أَوْلاَدَهُ الْغُرَّ أَجْدَا … داً بِمُلْكٍ نَامٍ وَعِزٍّ عَزِيزِ
فَهُوَ أَوْلَىٰ بِهِ وبِالْجُودِ فِيهِ … مِنْ ابْرِوِيزَ وَمِنْ فَيْرُوزِ
لَهُمُ فِي الْهِلالِ هُرْمُزُرُوزِ … وَلَنَا الدَّهْرَ فِيكَ هُرْمُزُرُوزِ
فَاقْتَبِلْ جِدَّةَ الزَّمَانِ بِعَامٍ … بَارِزٍ بِاللُّجَيْنِ وَالابْرِيزِ
ضَاحِكَاتٍ أَيَّامُهُ طَائِعَاتٍ … طَاعَةَ الْحِبِّ بَعْدَ طُولِ النّشُوزِ
وَاقْضِ حَقَّ النَّيْرُوزِ فيه بِكَأْسٍ … مُزْعَجٍ سَقْيُهَا بِكَأْسٍ وَكُوزِ
فِيهِ نَقْشٌ مُلَوَّنٌ مِنْ يَدَيْ مَنْ … لَمْ تَشُبْهُ مَعَايِبُ التَّلْوِيزِ
طَلَعَتْ شَمْسُ وَجْهِهِ تَحْتَ دَاجِيْ الشَّـ … ـشَعْرِ الْجَعْدِ صِبْغَةَ الشِّيرُوزِ

ومضىٰ فيها، إلىٰ أن قال:

أَنتَ أَدْرَىٰ بالشِّعْر مِن قائِلِيهِ … فاقْضِ فِيهِ بالْحَزْمِ والتَّعْجيزِ
وكذا العِلْمُ بالمحرَّكِ والسَّا … كِنِ في نَحْوِهِمْ وبالمَهْمُوزِ
لَيْس إلاَّ الَّذي يَضُمُّهُمُ المَجْـ … ـلِسُ للإِنْتِحالِ والتَّمْييزِ

فَهُمُ فَوْقَ مَنْ يَرَىٰ قَوْلَ حَقٍّ ... غيرَ مُسْتَنْكَرٍ ولا مَنْهُوزِ
فأَجِزْنِي بِقَدْرِ علمِكَ بالأَشْـ ... ـعار، يا خَيْرَ مُنْعِمٍ ومُجيزِ
بِدَنانِيرَ لا أُحَالُ علىٰ الْجِهْـ ... ـبِذِ فيهَا، وَلاَ عَلَىٰ كُتْبِ رُوزِ!
وَرَغِيفُ النَّدِّ الَّذي غَصَبُونيـ ... ـهِ، وأَكْرِمْ بِذَاكَ مِنْ مَجْنُوزِ
غَلَبَتْني عَلَيْهِ أَيْدِي نِهَابٍ ... نَهزَتْهُ بحَظِّهَا المَنْهُوز
سَبقَتْني إليه سَبْقَ ذئابٍ ... خاطِفَاتٍ بِهِزَّةٍ وأَزِيزِ
كان خَتْلاً منهم كَخْتَلِ الحَواريِّ ... سَيْفِ الله ذِي الرَّدىٰ جُرْمُوزِ
لو خَشِينَا الْبِدَارَ مِنهُمْ لَعِشْنا ... فيهِمُ كاللُّيُّوثِ فِي الأُمْعُوزِ
ثُمَّ آبوا بجانِبٍ طَيِّب النَّشْـ ... ـرِ، وَأُبْنا بِجانِبٍ مَخْبوزِ
لَهْفَ نفسي عليه مُلْقىً كَتُرْسٍ ... وافِرِ الحَرْف مُشْرِفِ التَّفْرِيزِ
فَدُموعي من التَّأَسُّف تَجْري ... جَرْيَ وَفْرَاءَ وافياتِ الخُرُوزِ
جَمَزَتْنِي فَوايِتُ الحظِّ منْهُ ... وابلائِي مِنْ حَظِّيَ الْمَجْمُوزِ!
قَدْ رَأَىٰ سَيِّدِي وُقُوفِيَ حَيْرا ... نَ كَمُصْمِي الرَّمْيَةِ الْمَتْرُوزِ
فابْقَ يَا سَيِّدي بَقاءَ ثَبِيرٍ ... غَيْرَ ما مَزْعَجٍ ولاَ مَحْقُوزِ
وتَمَلَّ السُّرُورَ سائِرَ مُلْكٍ ... غَيْرَ مُسْتَنْقَصٍ ولاَ مَبْزُوزِ
تَتخطَّىٰ مداسَ كلِّ إِمامٍ ... قاهرَ العزِّ غَيْرَ مَا معزُوزِ

فلما أَنشدتُه إياها استحسنها وقال: ما أعرف زائيةً مثلها، بل لا أعرف زائيةً إلا للشمّاخ، وتلك عجوزٌ وهذه شابةٌ! ثم عوّضني أحسنَ تعويضٍ بِصِلَةٍ ونَدٍّ وعَنبرٍ».
كتاب الأوراق للصولي (ص/ ٣١ - ٣٨).

ـ وكتبَ أيضًا علىٰ قافية الشين:

غَشِيَتْنِي مِنَ الْهُمُوم غَواشٍ ... لِعَذُولٍ يَلُومُ فِيكَ وَوَاشِ
لَوْ يُلاَقوا الَّذِي لَقِيتُ مِن الْوَجْـ ... ـدِ لِشَوْقٍ بَيْنَ الجَوانِحِ نَاشِ
نَمَّ بالسِّرِّ عِنْدَهُمْ دَمْعُ عَيْنِي ... إِنَّ سِرَّ المُحِبِّ بالْدَّمْعِ فَاشِي
مَنْ عَذِيرِي لظَالِمٍ أَنَا مِنْهُ ... فِي زَمَانِ الوِصَالِ لِلْهَجْرِ خَاشِي
أَخَذَ الْقَدَّ مِنْ قَضِيبٍ رَطِيبٍ ... وحكىٰ أَعْيُنَ الظِّبَاءِ العِطاشِ

فأنشدتُها الراضي في إمارته، فعَمِل في قافيتها ومعناها:

نَحُــولُ الْجِسْــمِ مِــنْ وَاشِ ... وَدَمْعِــي لِلهَــوَىٰ فَاشِــي
لأَنِّــي فِــي زَمَــانِ الْوَصْــ ... ــلِ مِــنْ هَجْـرِكِ لِـي خَاشِـي
لإِصغَــارِكَ لِلشَّكْــوَىٰ ... وَإِصْغَــائِكَ لِلْــوَاشِي
فَأَوْحَشْــتَ بِإِدْنَــاءِ ... وَآنَسْــتَ بِإِيحــاشِ
عَرانِــي سَــقَمٌ نَــاشِ ... بهَجْــرٍ مِنكُــمُ نَاشِــي

كتاب الأوراق للصولي (ص/ ٥٢).

ـ وعملتُ أيضًا:

حُــبٌّ لأَحْمَــدَ قَــدْ فَشَــا ... بَيْــنَ الْجَوانِــحِ والْحَشَــا
يَهْتَــزُّ فِــي حَــرَكَاتِهِ ... مِثْـلَ الْقَضِيـبِ إِذَا مَشَــىٰ
خَــدَّاهُ مِــنْ بَــرَدِ الــدُّجَىٰ ... وَالْمُقْلَتَـانِ مِـنَ الــرَّشَا
لَمَّـا ظَفِـرْتُ بِــوَصْلِهِ ... وَمَلَكْـتُ مِنْـهُ مَـا أشَـا
أَحْلَـىٰ الْبَــرِّيَةِ أَوْ عَلَـىٰ ... عَيْـنِ الَّـذي يَهْـوَىٰ غِشَـا
وتَنَاوَمَـتْ عَيْـنُ الرَّقِيــ ... ــبِ لَحَـثِّ أَقْـدَاحِ الْوِشَـا
وفَشَـا الحَـدِيثُ بِحُــبِّنَا ... والحُــبُّ يَحْسُـنُ إِنْ فَشَـا!
عَبَـثَ الْوُشَـاةُ بِــوَصْلِنَا ... حَسَـداً فقُبِّحَ مَنْ وَشَــا

فعمل هو:

أَقْــرَحَ القَلْــبَ والحَشَــا ... مُفْتِــنٌ لَحْظُــهُ رَشَــا
مَلَــكَ الجِسْــمَ حُبُّــهُ ... فَبِــرَاهُ كَمَــا يَشــا!
لا يُجــازَىٰ عَلَــىٰ الوِصَــا ... لِ وَلاَ يَقْبَــلُ الرِّشَــا
شِـئْتُ أَنْ يَرْحَمَ الْمُحِــ ... ــبَّ وَهَيْهـاتَ مَا أَشَـا
يَــا هِــلاَلاً إِذَا بَــدا ... وقَضِيبــاً إِذَا مَشَــىٰ
افْـشِ وَصْـلاً فَـإِنَّ هَجْــ ... ــرَكَ - لاَ كَانَ - قَـدْ فَشَـا!

كتاب الأوراق (ص/ ٥٣ - ٥٤).

وليعذرْنا القارئُ اللبيبُ علىٰ استرسالنا مع الصوليِّ هذا؛ فإننا إنما نُحمِضُ إحماضًا في هذا الكُرّاسِ!

- ومنهم: يحي بن يوسف الصرصري الحنبلي (ت ٦٥٦ هـ).

فقد ذكر له اليُونيني في ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٦٦) فما بعد، مدائحَ نبويّةً كثيرةً، نظمها علىٰ القوافي الصعبة، منها قولُه يمدح النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم وآله وأصحابه وأزواجه :

أبي القاسم الهادي البشير محمد ... سليل الكرام الأطيبين الملاوث
أعزِّ الورىٰ بيتًا وأشرفُ عنصراً ... وأطهرُ عرضًا من عميرة ماعث
بنىٰ لبني سام مناراً سمَوْا به ... حمىٰ آل حام في الفخار ويافث
تسنَّم من غُرِّ المناقب ذِروةً ... أبىٰ شأوها أنّ يستكنّ لضابث
تخيّره الرحمنُ من آل هاشم ... صفيًا نبيًا وارثًا خير وارث
وأنزل أملاكَ السماء لنصره ... علىٰ كل خوّان السريرة ناكث
وآزره في كل هيجاء بسلةٍ ... بأصحابه الشُّوس الكُماة الممارث
بكل كريم الأصل شهم مهاجرٍ ... وأنصارِه الموفين عند النكائث
هم حفظوا ميثاقه في حياته ... وفي موته لم ينقضوا عهدَ والث
ولما أتىٰ الأحزابُ بدَّد شملَهم ... بريحٍ وجندٍ باهرٍ للولايث
ويوم حنينٍ حين جاءت هوازنٌ ... بكلِّ غَويٍّ ذي شذاة ملايث
فولّوْا علىٰ الأعقاب حين رماهم ... فأغشاهم من قبضةٍ من كثاكث

إلىٰ آخر ما قال.

- ومنهم: إبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الصَّنعاني (ت ١٢٢٣ هـ) :

فقد نظم علىٰ القوافي الصعبة والعصيّة فأجاد، ومن شعره قولُه :

جاءتْ علىٰ غير وعدٍ بعدما انقطعتْ ... عنها الظنونُ وذابتْ دونها المهجُ
لكنْ رأتْ من رقيبٍ خَلّةً فأتَتْ ... في روعةِ الظبيِ بالقنّاص ينزعجُ
فقد سرَتْ وكُماةُ الحيِّ دائرةٌ ... من حولها وسيوفُ الهند تختلجُ

حتىٰ قضيتُ لُباناتٍ بها بَعُدَتْ عن التصوّرِ، لولا أنه الفرجُ!
ما كنت أحسَبُ دهري قطُّ يُسعدُني بها، ولا بسُموطٍ زانَها البَلَجُ

وقوله :

يَراعُ الهوىٰ في القلب للحبِّ قد خَطّا وأحكمَه شكْلاً وأوضحَه نَقْطا
وحرَّرَ في مرسومه العهدَ، إنني أدومُ علىٰ حكْمِ التّصابي وإن شطّا
ولازم بين الجفنِ والسُّهد في الدُّجىٰ ولم يلتزمْ لي للكَرىٰ في النَّوىٰ شَرْطا
لحا الله قلبًا تاه في لجَّةِ الصِّبا وقد كان في بحر الغرام علا الشَّطّا
فسمَّىٰ الذي قد أخلصَ النُّصحَ عاذلاً وظنَّ الذي أبدىٰ الصوابَ له أخطا
وعهدي به لا يجهلُ القولَ إنما لعلَّ الهوىٰ العُذرِيْ علىٰ سمعِه غطَّىٰ!

انظر البدر الطالع للشوكاني (١/ ١٩) ، ونيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر لزبارة الصنعاني (١/ ٢١).

- ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد الأصرم القيرواني (ت ١٣٧٥ هـ) :

ومن عويص شعره قوله في الغزل :

بثثتُ لها شوقي ولم ينفعِ البَثُّ ففارقني صبرٌ ولازمني بَثُّ
نأيتُ عليها درَّةً ولطالما لبثتُ مُعاطِيها وما ملّني اللَّبْثُ
وكم بتُّ ما بين السواعد ثاويًا ويسترنا من شعرها فاحمٌ كَثُّ
وكم ذا خلونا في الرِّياض وبيننا حديثٌ لنا في شُرب راوُوقِه حَثُّ
كأنّ شرابي إذ يُشَعشِعُهُ الهوىٰ حديثُ (عليٍّ) إذ يصحِّحه (اللّيثُ)!
فإنْ شئتَ قُل: شمسٌ، ولكنْ هنا الذُّكا وإنْ شئتَ قُل: بحرٌ، ولكنّهُ يحثو!

- ومنهم: محمد بن محمود بن محمد بن أحمد بن خيار بن القاضي العلوي، الملقب أبّدّ (ت ١٣٥٥ هـ) :

قال عنه العلّامةُ أحمدُ بنُ الأمين الشنقيطي في كتابه العُجَاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» (ص/ ٤٢) : « شاعرٌ مُجيدٌ، شديدُ متونِ القوافي، كأنما ينحت من صخرٍ، مع قلّة غَلَط، وأمْنٍ من السَّقَط، كان متضلِّعًا من العربية، قليلَ الطيْش!».=

=ومن شعره قولُه من قصيدةٍ يردُّ بها على قصيدة الأحول التي مطلعها:

ألا بلّغا بابَ جاني الحروب   وجاني الحروب رهينُ الخَطا

وقصيدته هي هذه:

ألا بلّغَنْ بابَ عنَّا سلاماً   يناسب منصبَه الأوسطَا
بأنَّا بتيجِجْكَ في ذُروةٍ   من المجد والعزّ لم تُمْتَطَا
وأهلُ الجبال يحوطونَنا   جميعاً وكنّا لهم أحوطَا
يُجلّون ذا الحِلم منسا الجليل   ويخشون ذا الجهل أن يفرطا
وكنا قديماً سُراة الأديم   نجود، ويعطوا لنا من عطا
نُؤَمِّن من سالمَ المسلمين   ونجفوا ونسطوا على من سطا
ونحن الكُماةُ ونحن القُضاةُ   والعالمون بما اسْتُنْبِطا
متى تتشعبْ دعاوى الخصوم   يكن حكمُنا الفاصلَ المسمَطا
وأنّا أغرْنا على معشرٍ   لدى تَغْرَرَيتَ وإيشَنْكَطا
وأخرى أغرنا على آخريـ   ـن بتنديْجمار وآغَوْرَطا
حملْنا الخِيامَ وأنْضادَها   وسِرْنا جميعاً ثِقالاً بطا
نَجُرُّ العِجافَ رويداً؛ لئلّا   تخُبَّ فتُبهَرَ أو تَثْلُطا
فجاءَتْ عُمَيْرٌ وما جَمّعتْ   وجاءَ حُمَيْدٌ وما جَمَّطا
وفرَّط في الحزم إذْ جاءَنا   ولو يعلمُ الغيبَ ما فرّطا!
وقد أقسموا جَهْدَ أيمانهم   يردُّون حِلْفة من أسْخَطا
وقد يقلبُ اللهُ قلبَ العَزُوم   وقد يحنث الحالف المُحْلِطا
وبالبئر صبَّحهم بُكرةً   كما نبَّه الوَرْدُ سِربَ القَطا
عَذابَ رجالٍ يَحُسُّونَهم   رأوا ذلك الأمثلَ الأقسطا

إلى آخر ما قال من هذا الشعر الجلْمَد، الذي يصكُّ الآذانَ صَكّاً ! ويحكُّ الأسماعَ حكَّاً !.

ولا أظنُّه يغيبُ عن بالك هنا حيرانُ المعرّة = أبو العَلاءِ ؛ فإنه قد برهن في لزوميّاته على أنه إمامُ هذه الصنعة !

لطيفةٌ: قال عبدُ الله بنُ الحسن: جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان، فجلس إليّ،=

- ٥ -

وبعدُ: فهذه زَفْرَةُ مَوْتُورٍ، شَعَر بما شَعَرَ به فشَعَر، فلربّما حرّك الشِّعْرُ أحداً، فصنع شيئاً يَدْرأُ به ولا يُدارِي، بعد أن كثرتْ ألاعيبُ السَّحَرَة، وغابتْ عَصَا الكلِيم!! وإلى اللهِ المشْتكَى لا مِنْه.

وكتب: أحمدُ بنُ عليٍّ القَرْنِيُّ الـمَدِينيُّ(١) **كان اللّهُ له ـ طابة ١٤٣٨ هـ**

= فقلت له: يا أبا إسحاق، أما يصعب عليك شيءٌ من الألفاظ تحتاجُ فيه إلىٰ الغريب كما يحتاج إليه سائر الناس ممّن يقول الشّعر؟ فقال: لا، فقلتُ: إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة، قال: فاعرِضْ عليّ ما شئت من القوافي الصعبة، فقلتُ: قلْ أبياتًا في مثل البلاغ، فقال من ساعته:

أيُّ عيشٍ يكون أفضلَ من عيـ ـشٍ كفافٍ قُوتٍ بقدر البلاغِ
صاحبُ البَغْي ليس يسلَمُ منه وعلىٰ نَفْسه بَغَىٰ كلُّ باغِي
رُبّ ذي لقمة تعرّض منها حائلٌ بينها وبين المساغِ
أبلغ الدهرُ في مواعظه بـ ـل زاد فيهنّ لي علىٰ الإبلاغِ
غَشَمَتْني الأيامُ عقلي ومالي وشبابي وصحّتي وفراغي!

انظر الأغاني للأصبهاني (٤/ ٤٤)، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي (٩/ ٢٣١).

(١) **الـمَدِينيُّ**: نسبةٌ صحيحةٌ للمدينة النبويّة علىٰ صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام. خلافًا لما زعمهُ صاحبُ «لحن القول» مِن أنها نِسْبة إلىٰ مدينة المنصور ونحوها من المُدن المضافة، فحَسْب!
ولعلّه اعتمد في ذلك على كلام صاحب «القاموس المحيط»، ولم يرجع للمصادر المتخصِّصة في الأنساب!!
والصحيحُ أنه يُنسبُ للمدينة النبوية أيضاً، فيقال: الـمَدِيني.
قال ابنُ القيسراني: المنسوبُ إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له: الـمَدِيني والمَدَني، وفيهم كثرةٌ. ثم ذكر بعضَهم. انظر الأنساب المتّفقة (ص/ ١٣٧).
وقال السمعانيُّ: «الـمَدِينى: بفتح الميم والدال المهملة المكسورة بعدها الياء آخر =

=الحروف وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى عدةٍ من المدن، منها مدينةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثرُ ما يُنسب إليها يقال: «المدني»، وإلى مدينة السلام بغداد، وإلى مدينة أصبهان، وإلى مدينة نيسابور، وإلى المدينة الداخلة بمرو، وإلى مدينة بخارا، وإلى مدينة سمرقند، وإلى مدينة نسف، وغيرها من المدن. فأمّا النسبةُ إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثرُ من أن تُحصى». الأنساب (١٢/ ١٥٢).

وبنحوه قال ابنُ الأثير في اللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ١٨٤) والسيوطيُّ في لُب اللباب في تحرير الأنساب (ص/ ٢٣٩).

وقال النوويُّ: «أمّا الـمَدِينيُّ والمدنيُّ فنسبةٌ إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، والقياسُ المدنيُّ بحذف الياء، ومَن أثبتها فهو على الأصل». المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٠٨).

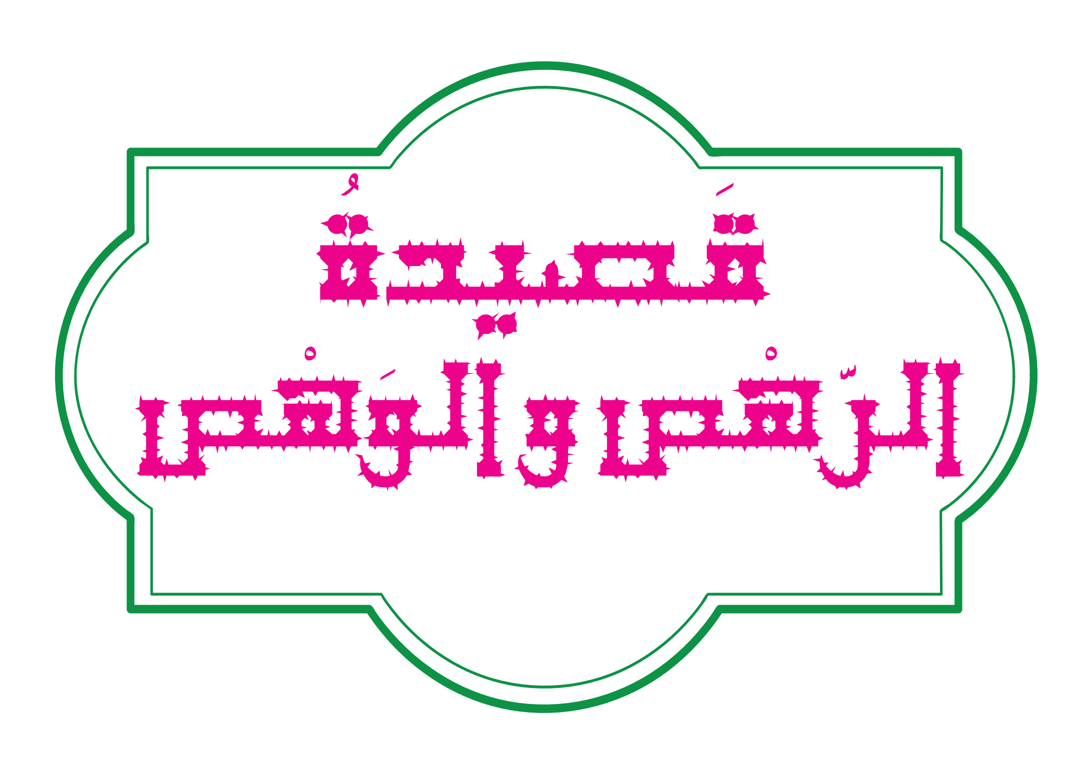
وقال ابنُ ناصر الدين: «الـمَدِيني: بفتح أوله، وكسر الدال المهملة، تليها مثناة تحت ساكنة، ثم نون مكسورة، نسبةٌ إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرُ ما يُنسب إليها مدنيّ». توضيح المشتبه (٨/ ١٠٠).

- ثمّ اختلفوا بعد ذلك في التفريق بينهما مِن حيثُ المرادُ:

١- فروى السمعانيُّ بسنده عن محمد بن سليمان بن فارس، قال: سمعتُ محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «الـمَدِينيُّ» هو الّذي أقام بالمدينة ولم يفارقْها، و«المدنيُّ» الّذي تحوَّل عنها وكان منها. الأنساب (١٢/ ١٥٣).

٢- وقال ابنُ الأبّار: «قال شيخُنا أبو الخطاب القاضي: نقلتُ من خطّ أبي مروان بن الصيقل رحمه الله، قال لي أبو علي شيخي، قال لي أبو الوليد الباجي شيخي: كلُّ مَن مات بالمدينة من أهلها قيل فيه في النَّسب: مدنيّ. وكلُّ من كان من أهل المدينة فمات بغيرها قيل فيه: مَدينيّ! كتب هذا الكلام أبو عبد الله بن أبي البقا النحوي من شيوخنا، وقال في آخره: وأظنُّه اصطلاحاً منهم». المعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص/ ٢٥٠).

٣ - وقال ابنُ ناصر الدين: «فرّق بعضُهم بينهما، فمن كان من أهلها، يقال له: مدني، ولمن نزلها مَديني». توضيح المشتبه (٨/ ١٠٠). والله أعلم.



قَصيدةُ
الرّهْص والوَهْص

فَـــــاتِحةٌ

فِي زمـان الـمُضحكاتِ..

الـمُبكـياتِ!

أصبح (المتـنُ) جُنيهـًا..

و(الشروحاتُ) فِرَنْكـًا..

و(الحواشي) مَارْكَاتْ!

أصبح الدولارُ معبوداً..

كما كانت مَنَـاةْ!!

أصبح (الموروثُ) نَهبـًا ..

للشياطين الغُزاةْ!

و(حقوقُ الطبع) صارتْ..

مثلَ باقي اللّافتاتْ!

أحْرُفٌ أضحتْ مجازاً..

لـيـس فيهنَّ حياةْ!

لم يَعُدْ للعلم طَعْمٌ..

لـم يَعُدْ للعلم ذاتْ!

ليس للعلم رُعاةٌ..

ليس للعلم حُماةْ!

عندها جيّشتُ شعري..

وانتضيتُ المفـرداتْ.

في جهاد العـابثينَ..

من لُصُوصِ الطَّبَعاتِ..

ولُصوصِ المكْتَباتْ!



-١-

الضَّادُ الضَّارِبَة

عَبَثُ (الناشرينَ) جُرمٌ بغيضُ
في زمانٍ قد ساد فيه الحَرِيْضُ![1]

في زمانٍ تُبتاعُ فيه (الأسامي)!
وعلىٰ بيعها تُنال (القُروضُ)![2]

قَوَّموا العِلْمَ بـ(الشهادات) ! ظنّوا
أن نشرَ (التراث) سهلٌ غَرِيْضُ![3]

طَبَعُوا (الكُتُبَ) دون فهمٍ وضبطٍ
وعلىٰ رَسْمِها يَلوح الغُموضُ!

يشتكي (الفقهُ) بأسَهم و(القراءا
تُ) ويشكو (الحَديثُ) بَلْهَ (العَروضُ)!

---

(١) الحَريضُ : هو الهالكُ، قاله ابنُ الأعرابيّ. وقيل: هو الساقطُ الذي لا خيرَ فيه. يُنظر العشراتُ في غريب اللغة لغلام ثعلب (ص/ ٦٨)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣/ ١٢٤) .

(٢) تستغلّ بعضُ دور النشر أصحابَ الأسماءِ العلميّةِ الّلامعةِ؛ لتضع أسماءَهم - شكلياً - علىٰ إصدارات الدار! سواءً في التحقيق أو الإشراف أو المراجعة ! دون مشاركةٍ منهم في ذلك كله؛ نظير حَفْنةٍ من المال !!

(٣) الغَريض : هو الطريُّ من كلِّ شيءٍ . يُنظر جمهرة اللغة لابن دريد (٢/ ٧٤٩)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٠٩٤) .



يَســـرِقُون (الحُقــوقَ) دون حَيــاءٍ!
إنَّ طَبــعَ اللئيــم طَبْــعٌ مَريــضُ

وإذا طالَــبَ (المحقِّــقُ) يومــًا
يُــزدرَىٰ قولُــه، وتُلغــىٰ (العُــروضُ)!

أيــنَ مَــنْ يَــردعُ الجُنــاةَ بحَــزمٍ؟
بعدمــا لَــجّ مُسْــتهينٌ بغيــضُ

أيــنَ مَــنْ يَحتــوي (الحُــواةَ) بعَــزمٍ؟
بعــد مــا عــاث في (التُّــراث) مَهِيــضُ

أيهـــا العابثــــون كُفّــــوا وإلا
ســوف يُبــدي مــا تصنعــون القريــضُ!



-٢-

الذَّالُ الـمُـذِلَّة

أيـنَ حِفـظُ الحُقـوقِ ؟ أيـنَ المـلاذُ ؟
بيـن (دُورٍ) قـد عـمَّ فيهـا الجُـذاذُ[(١)]

بـات يرعـىٰ (التحقيـقَ) فيهـا جَهـولٌ
أو بليـدٌ ، أو سـائلٌ شـحّاذُ![(٢)]

أصبـحَ العَالِـمُ المحقِّـقُ غِـرّاً
ليـس يـدري، وجُهِّـلَ الأُسـتاذُ!

ضجّـتِ الأرضُ مـن (بَطَلْيَـوسَ) حتىٰ
(جُوزَجـانٍ)، وخاصمـتْ (بغـداذُ)[(٣)]

(١) الجُـذاذ : مـا جُـذّ مـن الشـيء : أي قُطـع . ومَـا جُـذَّ مـن الْحِجَـارَة، أَي كُسِـر فَصَـار رُفَاتـًا. انظـر تهذيـب اللغـة للأزهـري (٤/ ١٨٥) ، وشـمس العلوم لنشـوان الحميـري (٢/ ٩٤٣).

(٢) الشَّـحّاذُ : قـال في القامـوس المحيـط (ص/ ٣٣٤) : الشَّـحْذُ : الإلحـاحُ في السـؤالِ، وهـو شـحَّاذٌ مُلِـحٌّ، ولا تَقُـلْ : شـحَّاثٌ.
وقـال الصفـدي : «يقولـون: شـحّاث، بالثـاء المعجمـة بثـلاث. والصـواب شـحّاذ بالذال المعجمـة، مـن قولـك: شَـحذتُ السـيفَ، إذا بالغـت في إحـداده، فـكأنّ الشَّـحَّاذَ مُبالِـغٌ في طلـب الصدقـة». تصحيـح التصحيـف وتحريـر التحريـف (ص/ ٣٣٢).

(٣) بَطليوْس : مدينةٌ من بلاد الأندلس غربيّ قُرطبة .
وجُوزَجـان : اسـم كُـورةٍ واسـعةٍ مـن كُـوَرِ بلـخٍ بخراسـان، الأولـىٰ في أقصـىٰ المغـرب، والثانيـة بأقصـىٰ المشـرق . =

(وبديــعُ الزمــان) يــا قــومُ أضحــىٰ

يتغنّــىٰ: مــا عــاد يُغنــي (الأزاذُ)(١)

طبعــوا كُتْبَــه فجــاءتْ خَليطــًا

شــوّهتها أغلاطُهــم والشــواذُ!

= وبغدادُ: في رسمها سبعُ لغات، إحداها بالذال المعجمة (بغداذ)، وإنْ نازَع في ذلك أهلُ البصرة! وقد مشىٰ علىٰ هذا اللفظ القفطيُّ في «الإنباه»، لا يتعدّاه، ولا يستعمل سواه.

وكــذا الصفــديُّ في كتابــه «نَكْــت الهِيمــان» كمــا في بعــض نُسَــخه، وهــي النســخة الموجــودة في المكتبــة العموميــة باســتانبول.

وجــاء في تاريــخ بغــداد تحقيــق د. بشــار عــوّاد (١/ ٣٦٤) عــن ابــن الكلبــي، قــال: إنمــا سُــمّيت بغــداد بالفَــرَس؛ لأنــه أُهــدي لكســرىٰ خَصــيٌّ مــن المشــرق، فأقطعــه بغــداد، وكان لهــم صنــمٌ يعبدونــه بالمشــرق، يقــال لــه: البَــغْ، فقــال: بَــغ دَادْ. يقــول: أعطــاني الصنــم.

والفقهــاءُ يكرهــون هــذا الاســم مــن أجــل هــذا، وســماها أَبُــو جعفــر مدينــةَ الســلام؛ لأن دجلــة كان يقــال لهــا: وادي الســلام.

وكان عبــد الله بــن المبــارك، يقــول: لا يقــال: بغــداذ بالــذال؛ فــإنّ بَــغْ شــيطان، ودَاذْ عطيّتــه، وإنهــا شــركٌ، ولكــنْ تقــول: بغــداد، وبغــدان، كمــا تقــول العــرب.

وعــن عبــد الله بــن مســلم بــن قتيبــة، قــال: كان الأصمعــيُّ لا يقــول: بغــداد، وينهــىٰ عــن ذاك، ويقــول: مدينــة الســلام؛ لأنــه ســمع في الحديــث أنّ بَــغْ صنــمٌ، ودَاذْ عطيّتــه بالفارســية، كأنهــا عطيّــةُ الصنــم.

ويقال لها أيضًا: بغدان، ومغدان.

(١) الأزاذ: نوعٌ من التمر.

والبيــتُ فيــه إشــارةٌ للمقامــة البغداديــة لبديــع الزمــان الهمــذاني، التــي اســتهلّها بقولــه: «اشــتهيتُ الأزاذ، وأنــا ببغــداذ» ينظــر (المقامــات الهمذانيــة ص/ ٧٠).

ليـتَ شِـعْري أيَّ المواثيـق يرعـىٰ
(ناشـرٌ) رقّ دينُـه طِرْمـاذُ[١]

عنـد (حفـظِ الحقـوقِ) لِـصٌ لئيـمٌ
ولـدىٰ (الطَّبْـع) ناشـلٌ وَذْواذُ[٢]

بـادروا الآنَ باتّخـاذِ قـرارٍ
فَلَكَـمْ أقلـقَ (اللصـوصَ) اتّخـاذُ

ولقـد قيـل في الوصايـا قديمـًا :
«لا يَفُـلّ الفُـولاذَ إلا الفُـولاذُ» ![٣]

---

(١) الطِّرْمَـاذ : هـو الصَّلِـفُ المفَاخِـرُ النفّـاجُ، المتشبّعُ بمـا ليـس عنـده. انظـر لسـان العـرب (٣/ ٤٩٨)، والقامـوس المحيـط (ص/ ٣٣٥)

(٢) الـوَذْوَاذ : الـوَذْوَذَةُ السُّـرْعَةُ، ورَجُـلٌ وَذْواذٌ : سَـرِيعُ المَشْـيِ. انظـر جمهـرة اللغـة (١/ ١٩٥)، والمحكـم والمحيـط الأعظـم (١٠/ ٩٣).

(٣) يُشبَعُ المدُّ في كلمة « الفولاذ» الأولىٰ، ويُختلس من الثانية .
وأصـلُ المثـل : «لا يَفـلُّ الحديـدَ إلا الحديـدُ»، يُضـرب في الشَّـيءِ لا يؤثّـر فيـه إلا مـا كان مـن جِنسـه.
لطيفـةٌ: لما خرج الوليد بن طريف الشـيباني الشَّـاري علىٰ الرشـيد، اشـتدتْ شـوكتُه،فبعث إليـه الرشـيدُ يزيدَ بـن مزيد الشـيباني فقتله، فقـال الشـاعر، وهو بكر بـن النطاح:

وائلٌ بعضُها يقتِّل بعضـًا ... لا يفلُّ الحديدَ إلا الحديدُ
لو تلقّىٰ الوليدَ غيرُ يزيدٍ ... لغـــدا ظاهراً عليه الوليدُ

انظـر مجمـع الأمثـال للميداني (٢/ ٢٣٠)، وفصـل المقـال في شـرح كتـاب الأمثـال للبكـري (ص/ ١٣٤)، ونهايـة الأرب في فنـون الأدب للنويـري (٢٢/ ١٣٠).

- ٣ -

الشِّينُ الشَّائِنَة !

عَبَثُ (الناشرين) في الكُتْبِ فاشِي
فلقد جلَّلو السَّنا بالغَواشِي!
نَخَروا في (المتون) حتىٰ تَهاوَتْ
فبكَتْها (الشروحُ) بعدَ (الحواشي)
(دورُ نشرٍ) تُرشَىٰ؛ لتخريبِ علمٍ
قبَّح اللهُ في الورىٰ كلَّ راشي !
جمعوا تحتَ سقفِها كلَّ غِرٍّ[1]
جاهلٍ بالفُنونِ، فَدْمٍ، طَوَاشِي[2]

---

(١) بلغني عن بعض دور النشر أنها تستأجرُ بعضَ طلّاب المرحلة المتوسّطة والثانويّة لنسخ وتحقيق المخطوطات! ثمّ تَطبع الكتاب، وتَكتبُ علىٰ غلافه عبارةَ: حقّقهُ جماعةٌ من العلماءِ بإشراف الناشر!!!

(٢) الطَّوَاشِي: مأخوذٌ من الطَّوَش، وهو خِفَّةُ العقل - كما قال ابنُ الأعرابي -، ومنه قولُ بعضهم:

له علىٰ حاجِبِه شامةٌ   تنزّهتْ في الحُسن عن عائبِ
مثلَ طَواشيْ زاد في حُمقِه   يعلو علىٰ الناظرِ والحاجبِ!

والطَّوَاشِيُّ هو: الخَصِيُّ! وهو مولَّدٌ لم يوجدْ في كلام العرب. وقال المقريزيُّ: إنها كلمةٌ تُركيّةٌ.

والطَّوَاشِيَةُ: المماليكُ الخِصْيانُ المعيَّنون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. =

يتبــارَوْنَ في ابْتــزَازِ البَرايَــا
كَصَنيــعِ الــكِلابِ حيــنَ الهِــرَاشِ!

بُؤْتُــمُ بالخَسَــارِ، عمّــا قريــبٍ
ســوف تَقضُــون مثـلَ سِـربِ فَـراشِ!

وسَــتذْوي جُهودُكُــمْ وتَهــاوَىٰ
كمريــضٍ في (غُرفــةِ الإنعــاش)![1]

وســأروي هِجاءَكُــمْ في: قَصِيْــدِيْ
وكِتَابــي، ودَفتــري، وكُنَاشِــي![2]

=يُنظر تزيين الأسواق في أخبار العشاق للأنطاكي (٢/ ٢١٩)، وتاج العروس للزبيدي (١٧/ ٢٤٨)، وتكملة المعاجم العربية لـدُوزي (٧/ ٩٠)،ومعجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لمحمد دهمان (ص/ ١٠٩).

لطيفةٌ: ذكر النُّويريُّ أنّ أحدَ سلاطين المماليك، كتب إلىٰ نائبه بقلعة الجبل: الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز، قبل وصوله إلىٰ الديار المصرية، أن يتقدّم بنصْب مائة خشبةٍ بالميدان الأسود للشَّنْق، فنُصبتْ، وما عَلِم لمن هي؟ فكان الطواشيُّ إذا توجّه إلىٰ الميدان يمرُّ علىٰ الخشب، فينظرُ الىٰ خشبةٍ منها، ويقول: أجِدُ قلبي يحِنُّ الىٰ هذه الخشبة! وتكرّر ذلك منه، فشُنِق عليها!! وهذا من عجيب الاتفاق في إحساس الخواطر. نهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠/ ٢٢١) بتصرف.

(١) غُرْفة الإنعاش: مكانٌ مخصَّصٌ في المستشفيات، ومجهَّزٌ للعناية بالمرضىٰ عقب الجراحة مباشرةً. معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (٢/ ١٦١٠).

(٢) الكُنَاشُ والكُنَاشَةُ: أوراقٌ تُجعل كالدفتر، يُقيَّد فيها الفوائدُ والشواردُ للضبط، هكذا يستعمله المغاربة. تاج العروس للزبيدي (١٧/ ٣٦٩)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٠٠).

فلْتُفيقــوا مــن سَــكْرةٍ، وَيــحَ قَوْمِــي
قَبــلَ أنْ تســحقَ الظِّبــاءُ خَــراشِ![1]
واهْجُــروا هــذهِ (المتَاجِــرَ) طُــرّاً
وأَحِيلُــوا طَبْعَاتِهــا (للمَعَــاشِ)!![2]



(١) في هذا إشارةٌ إلىٰ البيت المشهور الذي صار مثلاً يُضربُ:

تكاثرتْ الظِّباءُ علىٰ خَراشٍ   فما يدري خَراشٌ ما يصيد!

قال ابنُ القيّم: يُحكىٰ أن بعض العرب: أرسل صائداً له علىٰ صيدٍ. فخرج الصيدُ عليه من أمامه وخلفه، وعن يمينه وعن شماله، فوقف باهتاً ينظر يميناً وشمالاً، ولم يصطد شيئاً!! فقال:

تكاثرتْ الظِّباءُ علىٰ خَراشٍ   فما يدري خَراشٌ ما يصيد!

مدارج السالكين (٢/ ٣٨٨).

وقال الخوارزمي: خَراشٌ هذا صاحب الخراشيّة من مرو، وكان من دعاة بني العبّاس، ثمّ خلّط عليهم، وقتله أسد بن عبد الله القسريّ بعد قطع يديه ورجليه! الأمثال المولَّدة (ص/ ٣٣١).

وانظر التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص/ ٣٦١)، والمثل السائر لابن الأثير (١/ ١١٧).

(٢) المعاشُ: هو الرزقُ. ومنه قولُ المتنبي:

فسِرتُ إليك في طلب المعالي   وسار سوايَ في طلب المعاشِ

وفي عُرْفِنا الحاضر هو المالُ الذي يتقاضاه الموظَّف بعدَ التقاعد من الوظيفة. انظر المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٠). ومعجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (١/ ٥٨٦)، ومعجم لغة الفقهاء لقلعجي وقنيبي (ص/ ٤٣٧).

وهو مرادي هنا.

- ٤ -

الطَّاءُ الطَّامّة!

عَبـثُ (المكْتبـاتِ) يـا قـومُ شَـطَّا[١]
فاكشِـفوا وَجْهَهَـا القَبيـحَ المُغَطَّـىٰ

تَشْـتكيْ بأسَـهُم دَواويـنُ عِلْـمٍ
أثْخَنُوهَـا خَبْطـًا، وخَلْطَـًا، وسَـقْطَا!

يشـتكيْ بغيَهُـم (صحيـحُ البخـاريْ)
و(المسـانيدُ) كلُّهـا، و(الـمُوَطَّا)!

عَبَثَـًا تصنعُـونَ! مـا ذا؟ أَفِيقُـوا
أَوَ مَـا زِلتُـمُ تَغُطُّـونَ غَطَّـا؟!

كيـفَ يُرجَـىٰ مـن فاقـدِ العلـم علـمٌ
وهْـوَ يَمضـيْ في سـاحة العلـم خَبْطَا؟!

---

(١) مأخـوذٌ مـن الشَّـطَط: وهـو مُجَـاوزَة الحـدّ فِـي الجَـور. ومنـه قولُهـم: شَـطَّ فـلانٌ فِـي حُكمـه إذا جـارَ.
وقـال اللَّيْـثُ: الشَّـطَطُ مُجَـاوَزَةُ القَـدْرِ فِـي كلّ شَـيْء. انظـر تهذيـب اللغـة للأزهـري (١١/ ١٨٠)، وجمهـرة اللغـة لابـن دُريـد (٢/ ١٠٠٩).



كيــفَ يَسْــعىٰ في نشــرِ عِلــمٍ جهــولٌ

كلّمــا رامَ أنْ يُصــوِّبَ أخْطَــا؟!

مِثــلُ هــذا فلــنْ نُسَــمِّيهِ: شَــيْخًا

هــو أحْرىٰ بـأن نُسـمِّيهِ: (أُسْـطَىٰ)!![1]

لا يُجيــدُ (التَّحْقِيــقَ) إلّا لبيــبٌ

ضَبَطَ العِلمَ و(المناهَجَ)[2] ضَبْطَا

وَحَــوَىٰ عِلــمَ آلَــةٍ مَنَحَتْــهُ

فَهْــمَ نَــصٍّ: معنــىً، ولفظــًا، وخَطَّـا

وثَنَــىٰ رُكبتيْــهِ عنــدَ إمــــــــامٍ

في مجــالِ (التحقيــقِ)، حتــىٰ تَخَطَّــىٰ



(١) الأُسْـطَىٰ: كلمـةٌ عاميّـةٌ مِصريـةٌ، ولعلّهـا تحريـفٌ واختـزالٌ لكلمـة (أُسـتاذ)! ومعناهـا: صاحـبُ الحِرْفَـة والصنعـة الماهـرُ بهـا. وتُطلـقُ أيضـًا علـىٰ سـائق سـيّارة الأُجـرة، وعلـىٰ المشـتغل بإصلاحهـا، وهـو مـرادي هنـا. وانظـر تكملـة المعاجـم العربيـة لدوزي (١/ ١٢٩)، ومجلـة الرسـالة (عـدد ٥٤ ص ٣٥٧).

(٢) مناهـجُ تحقيـق المخطوطـات؛ علـمٌ شـريفٌ؛ يُـدرَّسُ في أقسـام الدراسـات العليـا في الجامعـات وفي مراكـز البحـث المشـهورة. فأنّـىٰ لهـؤلاء الناشـرين أن يُدركـوا ذلـك؟! حيـثُ يظـنُّ هـؤلاء الناشـرون أنـه مجـرَّدُ اجتهـاداتٍ وتخرُّصـاتٍ مـن الباحثيـن!! فعلينـا أن نتنبّـه لهـذا الأمـر، وننبّـه طلّابَنـا عليـه.

-٥-

الثَّاءُ الثَّالِمَة!

أيها (الناشرون) ما ذا اللُّهاثُ ؟
خَنَعَ النَّسْرُ فاسْتطالَ البُغَاثُ![1]

هل يُوشّىٰ في عالم (النَّشْر) فَدْمٌ
غيرُ ثَبْتٍ ، أو عالمٌ بحّاثُ؟!

غُصَصٌ تملأ الطُّروسَ، ولغوٌ
نَفَخَ الكُتْبَ، فالغياثُ الغياثُ!

(ناشرٌ) فاشلٌ بنىٰ (دارَ نَشْلٍ)
ينهب الناسَ، دأبُهُ الْإجْتثاثُ!

حَسِبَ العلمَ قطعةً من (أثاثٍ)
فهل العلمُ - يا جهولُ - (أثاثُ)؟!

صارتْ (الكُتْبُ) مَرْتَعًا لِلُّصُوصِ
قد تبارىٰ ذكورُها والإناثُ!

(١) قال أبو عبيد: بُغاثُ الطَّير: ضِعافُها. وقال الأصمعي: لِئامُها، وقيل: شِرارُها.
ويُقالُ في المثَل: «إنَّ البُغاثَ بأرْضِنا يَسْتَنْسِرُ»، أي: يَصيرُ نَسْراً ! انظر المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسىٰ المديني (١/ ١٧٧) ، ومعجم ديوان الأدب للفارابي (٢/ ٤٣١).



فاستغاثتْ (خزائنُ الكُتْب) تشكو

فمتىٰ معشرَ الحُماة تُغاثُ ؟!

قاطعوا هذه (المتاجرَ) تَذْوِيْ

واتركوا دعْمها؛ لِيَحْيا (التُّراثُ)

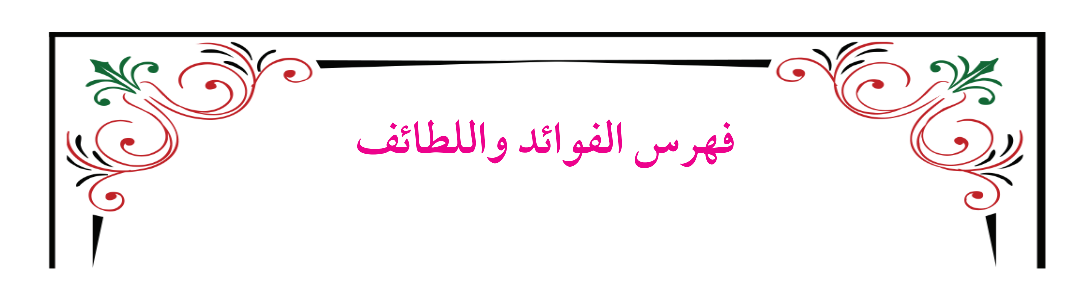
ولْتَحُثُّوا أقلامَكُم يَا لَقومِيْ

فلقدْ يَحفظُ (الحقوقَ) التّحَاثُ!

قد عزمتُ الطلاقَ منها ثلاثًا

ربّما تردعُ الجُناةَ الثلاثُ !!





فهرس الفوائد واللطائف

الموضوع الصفحة